بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر
تفسير ابن كثير

قال الله تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"

"ونُنَزِّل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين".. "الإسراء"

وقال عليه الصلاة والسلام:

" أشراف أمتي حملة القرآن" "الترمذي"

"مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنةٌ والحسنةُ بعشرِ أمثالها، لا أقولُ الم حرْف، ولكن ألفٌ حرْف ولامٌ حرْف وميمٌ حرْف." "البخاري"

إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" "البخاري"

إلى كل مؤمن ومؤمنة..

يريد السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة..

أهدي كتاب الله وتفسيره..

ليكون عوناً على فهم القرآن والعمل به..

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

"تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي". "متفق عليه"

السيد حسن عباس شربتلي

الطبعة السابعة
(منقحة)

١٤٠٢ هـ = ١٩٨١ م

طُبع على نفقة
المحسن الكبير
معالي السيد حسن عبّاس الشربتلي
وجعله وقفاً لله تعالى
فجزاهُ الله كُلّ خير

يُوزع مجّاناً ولا يُباع

مختصر

تفسير ابن كثير

مختصر لتفسير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

المجلد الثالث

اختصار وتحقيق
محمد علي الصابوني
أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز

دار القرآن الكريم
بيروت

(٦٧) سُورَةُ المُلْكِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

ما ورد في فضلها : روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك »(١) . وعن أنس قال، قال رسول الله ﷺ : « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذي بيده الملك »(٢). وعن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر ، وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك: تبارك، حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ : « هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر »(٣). وعن جابر أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: « ﴿ آلم تنزيل ﴾ ، و ﴿ تبارك الذي بيده المُلْك ﴾ »(٤). وقال ليث، عن طاووس: يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة، وعن ابن عباس أنه قال لرَجُل: ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال: بلى، قال: اقرأ ﴿ تبارك الذي بيده المُلْكُ ﴾ وعلّمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية ، والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطالب له أن ينجيه من عذاب النار ، وينجى بها صاحبها من عذاب القبر ، قال رسول الله ﷺ : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أُمّتي »(٥) .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ

(١) أخرجه أحمد ورواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي : حديث حسن .

(٢) رواه الطبراني والحافظ المقدسي .

(٣) رواه الترمذي ، وقال : غريب من هذا الوجه .

(٤) أخرجه الترمذي .

(٥) أخرجه عبد بن حميد في مسنده .

تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾

يُمَجِّد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ أي هو المتصرف في جميع المخلوقات، بما يشاء، لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل، لقهره وحكمته وعدله، ولهذا قال تعالى: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾، ثم قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ ومعنى الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم، أي يختبرهم أيهم أحسن عملاً. عن قتادة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أذل بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء»(١)، وقوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ أي خير عملاً كما قال محمد بن عجلان، ولم يقل أكثر عملا، ثم قال تعالى: ﴿وهو العزيز الغفور﴾ أي هو العزيز العظيم، المنيع الجناب، وهو غفور لمن تاب إليه وأناب، بعد ما عصاه وخالف أمره، فهو مع ذلك يرحم ويصفح ويتجاوز، ثم قال تعالى: ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ أي طبقة بعد طبقة، وقوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ أي ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، ولهذا قال تعالى: ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ أي انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً؟ قال ابن عباس ومجاهد ﴿هل ترى من فطور﴾ أي شقوق، وقال السدي: أي من خروق، وقال قتادة: أي هل ترى خللاً يا ابن آدم؟ وقوله تعالى: ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ مرتين، ﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً﴾ قال ابن عباس: ذليلاً، وقال مجاهد: صاغراً، ﴿وهو حسير﴾ يعني وهو كليل، وقال مجاهد: الحسير المنقطع من الإعياء، ومعنى الآية: إنك لو كررت البصر مهما كررت، لانقلب إليك أي لرجع إليك البصر ﴿خاسئاً﴾ عن أن يرى عيباً أو خللاً، ﴿وهو حسير﴾ أي كليل قدانقطع من الإعياء، من كثرة التكرر ولا يرى نقصاً، ولما نفى عنها في خلقها النقص، بيّن كمالها وزينتها فقال: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت، وقوله تعالى: ﴿وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ عاد الضمير في قوله ﴿وجعلناها﴾ على جنس المصابيح لا على عينها، لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء، بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم. ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا، وأعتدنا لهم عذاب السعير في الأخرى كما قال تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ قال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به(٢).

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا

(١) رواه ابن أبي حاتم. (٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾

يقول تعالى ﴿ وأعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ﴾ أي بئس المآل والمنقلب، ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً ﴾ يعني الصياح، ﴿ وهي تفور ﴾ قال الثوري: تغلي بهم كما يغلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير، وقوله تعالى: ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ أي تكاد ينفصل بعضها من بعض، من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم، ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾. يذكر تعالى عدله في خلقه، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾، وقال تعالى: ﴿ وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾، وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة، فقالوا: ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾، أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها لما كنا على ما كنا عليه، من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم، قال الله تعالى: ﴿ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾. وفي الحديث: « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم »[1]، وفي حديث آخر: « لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة ».

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾

يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى، بأنه له ﴿ مغفرة وأجر كبير ﴾ أي تكفّر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين: « سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » فذكر منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطلع على الضمائر والسرائر ﴿ وأسروا قولكم أو أجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي بما يخطر في القلوب ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ أي ألا يعلم الخالق ؟ وقيل معناه: ألا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى لقوله: ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض، وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال تعالى: ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها ﴾ أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا

(١) رواه الإمام أحمد من حديث أبي البختر الطائي.

في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن ييسره الله لكم، ولهذا قال تعالى: ﴿وكلوا من رزقه﴾ فالسعي في السبب لا ينافي التوكل، كما قال رسول الله: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[1] فأثبت لها رواحاً وغدواً لطلب الرزق مع توكلها على الله عزّ وجلّ، وهو المسخر المسير المسبب ﴿وإليه النشور﴾ أي المرجع يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد: مناكبها: أطرافها وفجاجها ونواحيها.

ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه، أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم، وهو مع هذا يحلم ويصفح، ويؤجل ولا يعجل، كما قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ الآية، وقال ههنا: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ أي تذهب وتجيء وتضطرب، ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾ أي ريحاً فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾، وهكذا توعدهم ههنا بقوله: ﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أي كيف يكون إنذاري، وعاقبة من تخلف عنه وكذب به، ثم قال تعالى: ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ أي من الأمم السالفة والقرون الخالية، ﴿فكيف كان نكير﴾ أي فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟ أي عظيماً شديداً أليماً، ثم قال تعالى: ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن﴾ أي تارة يصففن أجنحتهن في الهواء، وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً، ﴿ما يمسكهن﴾ أي في الجو ﴿إلا الرحمن﴾ أي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه، ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، وهذه كقوله تعالى: ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون﴾.

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم: ﴿ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾ ؟ **أي ليس لكم من دونه من ولي ولا واق، ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال** تعالى: ﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾ . ثم قال تعالى: ﴿ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ﴾ ؟ أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده ؟ أي لا أحد يعطي ويمنع، ويخلق ويرزق إلا الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ بل لجوا ﴾ أي استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم، ﴿ في عتو ﴾ أي في معاندة واستكبار ﴿ ونفور ﴾ على إدبارهم عن الحق، لا يسمعون له ولا يتبعونه، ثم قال تعالى: ﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾ ؟ وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي ﴿ مكباً على وجهه ﴾ أي يمشي منحنياً لا مستوياً ﴿ على وجهه ﴾ أي لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى ﴿ أمن يمشي سوياً ﴾ أي منتصب القامة ﴿ على صراط مستقيم ﴾ ؟ أي على طريق واضح بيّن، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم، مفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ . عن أنس ابن مالك قال، قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال: « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم »[1] ؟

وقوله تعالى: ﴿ قل هو الذي أنشأكم ﴾ أي ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ أي العقول والإدراك، ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ أي قلّما تستعملون هذه القوى، التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره . ﴿ قل هو الذي ذرأكم في الأرض ﴾ أي بثكم ونشركم في أقطار الأرض، مع اختلاف ألسنتكم ولغاتكم وألوانكم، ﴿ وإليه تحشرون ﴾ أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات، يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم، ثم قال تعالى مخبراً عن الكفار، المنكرين للمعاد، المستبعدين وقوعه ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ؟ أي متى يقع هذا الذي تخبرنا عنه، ﴿ قل إنما العلم عند الله ﴾ أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عزّ وجلّ، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ﴿ وإنما أنا نذير مبين ﴾ أي وإنما عليّ البلاغ وقد أديته اليكم، قال الله تعالى: ﴿ فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ أي لما قامت القيامة وشاهدها الكفّار، ورأوا أن الأمر كان قريباً، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب، ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾، ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ﴿ هذا الذي كنتم به تدّعون ﴾ أي تستعجلون .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

(١) الحديث أخرجه أحمد وأصله في الصحيحين عن أنس بن مالك .

يقول تعالى: ﴿ قل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه ﴿ أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أي خلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذلكم من الله إلا التوبة والإنابة، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنـا من العذاب والنكال، فسواء عذبنا الله أو رحمنا، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم ، ثم قال تعالى: ﴿ قل هو الرحمن آمنا بـه وعليه توكلنا﴾ أي آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم، وعليه توكلنا في جميع أُمورنا ، كما قال تعالى: ﴿ فاعبده وتوكل عليه﴾ ، ولهـذا قال تعالى: ﴿ فستعلمون من هو في ضلال مبين﴾ أي منا ومنكم ، ولمن تكون العـاقبة في الدنيا والآخرة ؟ ثم قال تعالى إظهاراً للرحمة في خلقه ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ أي ذاهباً في الأرض إلى أسفل ، فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد، والغائر عكس النابع ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فمن يأتيكم بمـاء معين﴾ أي نابع سائح جار على وجه الأرض، أي لا يقـدر على ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه، وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فلله الحمد والمنة

[آخر تفسير سورة المُلك]

* * *

(٦٨) سورة القلم مكية وآياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، بما أغنى عن إعادته ههنا، **وقيل**: المراد بقوله ﴿ ن ﴾ حوت عظيم **وقيل**: المراد بقوله ﴿ن﴾ لوح من نور، **وقيل**: المراد بقوله ﴿ن﴾ الدواة، ﴿والقلم﴾ القلم،روي عن الحسن وقتادة في قوله ﴿ ن ﴾ قالا: هي الدواة، وقوله تعالى: ﴿ والقلم ﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله تعالى: ﴿ الذي علَّم بالقلم * علَّم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فهو قسم منه تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم، من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿ وما يسطرون ﴾ قال ابن عباس: يعني وما يكتبون، وقال أبو الضحى عنه ﴿ وما يسطرون ﴾ أي وما يعملون، وقال السدي ﴿ وما يسطرون ﴾ يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد، وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر، حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام، روى ابن أبي حاتم عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: أُكتب، قال: يا ربّ وما أكتب؟ قال أُكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد»[1]. وعن ابن عباس أنه كان يحدِّث أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء»[2]. وقال مجاهد ﴿ والقلم ﴾ يعني الذي كتب بـه الذكر، وقوله تعالى: ﴿ وما يسطرون ﴾ أي يكتبون كما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ أي لست ولله الحمد بمجنون، كما يقوله الجهلة من قومك،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، ورواه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) رواه ابن جرير.

المكذبون بما جئتهم به من الهدى حيث نسبوك إلى الجنون، ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ أي بل إن لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم، ومعنى ﴿غير ممنون﴾ أي غير مقطوع، كقوله: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع عنهم، وقال مجاهد ﴿غير ممنون﴾: أي غير محسوب، وهو يرجع إلى ما قلناه، وقوله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال ابن عباس: وإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام، وقال عطية: لعلى أدب عظيم، وقال قتادة: ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن، وروى الإمام أحمد عن الحسن قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن(١)، وقال ابن جرير، عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها: أخبريني بخلق النبي ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، أَما تقرأ: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(٢)؟ ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن سجية له وخلقاً، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت في الصحيحين عن أَنَس، قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أُفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلتُه لِمَ فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله أَلاَ فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خُلقاً ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان أَلين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أَطيب من عرق رسول الله ﷺ(٣)، وروى البخاري، عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خَلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير(٤)، وروى الإمام أحمد، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً قط، ولا ضرب امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله عزَّ وجلّ(٥).

وقوله تعالى: ﴿فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون﴾ أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك، من المفتون الضال منك ومنهم. وهذا كقوله تعالى: ﴿سيعلمون غداً من الكذاب الأشر﴾، قال ابن عباس في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة، ﴿بأيكم المفتون﴾ أي المجنون، وقال قتادة: ﴿بأيكم المفتون﴾ أي أولى بالشيطان، ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بأيكم﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله ﴿فستبصر ويبصرون﴾ وتقديره: فستعلم ويعلمون، أي فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون، والله أعلم، ثم قال تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الضال عن الحق.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد.

(٢) رواه ابن جرير واللفظ له ورواه أبو داود والنسائي بنحوه.

(٣) أخرجه الشيخان عن أَنَس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري. (٥) أخرجه الإمام أحمد والأحاديث في هذا كثيرة، ولأبي عيسى الترمذي كتاب سمّاه (الشمائل).

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم، والخلق العظيم ﴿فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون، وقال مجاهد: تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق، ثم قال تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته، يجترئ على أسماء الله تعالى، باستعمالها في كل وقت في غير محلها، قال ابن عباس: المهين الكاذب، وقال الحسن: ﴿كل حلاف﴾ مكابر ﴿مهين﴾ ضعيف، وقوله تعالى: ﴿هماز﴾ يعني الاغتياب، ﴿مشاء بنميم﴾ يعني الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحالقة، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول. وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[١]. وعن همام بن الحارث قال: مر رجل على حذيفة فقيل: إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»[٢]. وعن أبي وائل قال: بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمام»[٣]، وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد ابن السكن أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله عزَّ وجلَّ»، ثم قال: «ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العَنَت»[٤].

وقوله تعالى: ﴿مناع للخير معتد أثيم﴾ أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿معتد﴾ في تناول ما أحل الله له، يتجاوز فيها الحد المشروع، ﴿أثيم﴾ أي يتناول المحرمات، وقوله تعالى: ﴿عتُل بعد ذلك زنيم﴾ أما العتل فهو الفظ الغليظ، الجموع المنوع. روى الإمام أحمد، عن حارثة بن وهب قال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» وفي رواية: «كل جواظ جعظري مستكبر»[٥]. وفي أُخرى لأحمد: «كل جعظري، جواظ[٦]، مستكبر، جمّاع، منّاع» وفي الحديث: «تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا هضماً، فكان للناس

(١) رواه الشيخان وبقية الجماعة.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود. والقتات: النمام.

(٣) أخرجه أحمد.

(٤) أخرجه أحمد وابن ماجة.

(٥) أخرجه الشيخان والإمام أحمد.

(٦) قال أهل اللغة: الجعظري: الفظ الغليظ، والجواظ: الجموع المنوع.

ظلوماً، فذلك العتل الزنيم »[١] ، فالعتل هو الشديد القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك، وأما الزنيم في لغة العرب فهو الدعي في القوم، ومنه قول (حسان بن ثابت) يذم بعض كفّار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال ابن عباس في قوله ﴿ زنيم ﴾ قال: الدعي الفاحش اللئيم ، وأنشد :

زنيم تداعـاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع

والمراد بـه (الأخنس بن شريق) ، وقال مجاهد عن ابن عباس : ﴿ الزنيم ﴾ الملحق النسب، وقال سعيد بن المسيب : هو الملصق بالقوم ليس منهم؛ وسئل عكرمة عن الزنيم فقال: هو ولد الزنا، وقال سعيد بن جبير : الزنيم الذي يعرف بالشر ، كما تعرف الشاة بزنمتها ، والزنيم الملصق، وقال الضحّاك: كانت له زنمة في أصل أذنه، ويقال: هو اللئيم الملصق في النسب، والأقوال في هذا كثيرة، وترجع إلى ما قلناه، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر، الذي يعرف به من بين النـاس، وغالباً يكون دعياً ولد زنا، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره ، وقوله تعالى: ﴿ أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين، كفر بآيات الله عزَّ وجلَّ وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين، كقوله تعالى: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالاً ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطمع أن أزيد* كلا إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ . ﴿ سنسمه على الخرطوم﴾، قال ابن جرير : سنبين أمره بياناً واضحاً، حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم، كما لا تخفي عليهم السمة على الخراطيم، وقال قتادة ﴿ سنسمه على الخرطوم﴾ : شين لا يفارقه آخر ما عليه، وعنه: سيما على أنفه، وقال ابن عباس: يقاتل يوم بدر فيخطم السيف في القتال، وقال آخرون: ﴿سنسمه﴾ سمة أهل النار، يعني نسود وجهه يوم القيامة، وعبر عن الوجه بالخرطوم، ولا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وفي الحديث: « من مات همازاً لمازاً ملقباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »[٢] .

﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم مرفوعاً .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً وهو جزء من حديث .

﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفّار قريش، فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وهو بعثة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة، ولهذا قال تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ أي اختبرناهم ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه، ﴿إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾ أي حلفوا ليجذن ثمرها ليلاً، لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ولا يتصدقوا منه بشيء، ﴿ولا يستثنون﴾ أي فيما حلفوا به، ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾ أي أصابتها آفة سماوية، ﴿فأصبحت كالصريم﴾ قال ابن عباس: أي كالليل الأسود، وقال السدي: مثل الزرع إذا حصد أي هشيماً يبساً، عن ابن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: «إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيئ له» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم﴾(١) قد حرموا خير جنتهم بذنبهم، ﴿فتنادوا مصبحين﴾ أي وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى (الجذاذ) أي القطع، ﴿أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين﴾ أي تريدون الصرام، قال مجاهد: كان حرثهم عنباً، ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ أي يتناجون فيما بينهم، بحيث لا يُسْمِعُون أحداً كلامهم، ثم فسر عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به، فقال تعالى: ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ أي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم، قال تعالى: ﴿وغدوا على حرد﴾ أي قوة وشدة، وقال مجاهد: على جد، وقال عكرمة: على غيظ، ﴿قادرين﴾ أي عليها فيما يزعمون ويرومون، ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ أي فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها، وهي على الحالة التي قال الله عزّ وجلّ، قد استحالت عن تلك النضارة والزهوة وكثرة الثمار، إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق، ولهذا قالوا: ﴿إنا لضالون﴾ أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها، ثم تيقنوا أنها هي فقالوا ﴿بل نحن محرومون﴾ أي بل هي هذه، ولكن نحن لاحظ لنا ولا نصيب.

وقال تعالى: ﴿قال أوسطهم﴾، أي أعدلهم وخيرهم(٢) ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾! قال مجاهد والسدي: أي لولا تستثنون، وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحاً، وقال ابن جرير: هو قول القائل (إن شاء الله)، **وقيل**: ﴿لولا تسبحون﴾ أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع، ولهذا قالوا: ﴿إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً، على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب، ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين﴾ أي إعتدينا وبغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ **قيل**: راغبون في بذلها لهم في

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٢) قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة.

الدنيا، **وقيل**: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة، والله أعلم. ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن، **وقيل**: كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكان يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه، ويدخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحمق، إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية (رأس المال والربح والصدقة) فلم يبق لهم شيء؛ قال الله تعالى ﴿ كذلك العذاب﴾ أي هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير، وبدّل نعمة الله كفراً، ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ أي هذه عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة أشق.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عزّ وجلّ، بيّن أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم، التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها، ثم قال تعالى: ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾؟ أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء، ولهذا قال: ﴿ مالكم كيف تحكمون﴾! أي كيف تظنون ذلك، ثم قال تعالى: ﴿ أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون﴾ يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السماء، تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه، بنقل الخلف عن السلف، متضمن حكماً مؤكداً كما تدعونه؟ ﴿ إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة؟ إن لكم لما تحكمون﴾ أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة؟ ﴿ إن لكم لما تحكمون﴾ أي أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون، ﴿ سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ أي قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا! قال ابن عباس: أيهم بذلك كفيل ﴿ أم لهم شركاء﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ يعني يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال، والبلاء والامتحان

والأمور العظام، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»[١]. وقال ابن عباس: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. وعن ابن مسعود ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر: شالت الحرب عن ساق[٢]. وقال ابن جرير عن مجاهد: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: شدة الأمر وجده، وقال ابن عباس قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة، وقال العوفي، عن ابن عباس قوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يقول: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة، وروي عن النبي ﷺ قال: «﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يعني عن نور عظيم يخرون له سجداً»[٣]، وقوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب عزَّ وجلَّ فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين أو المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرّ لقفاه، ثم قال تعالى: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ يعني القرآن، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه أنا أعلم كيف أستدرجه ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر، ولهذا قال تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ أي وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ أي أؤخرهم وأمدهم، وذلك من كيدي ومكري بهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إن كيدي متين﴾ أي عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ على معصيتي، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾! المعنى أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى، وهم يكذبون بما جئتهم به، بمجرد الجهل والكفر والعناد.

فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى: ﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم، فإن الله سيحكم لك ويجعل العاقبة لك

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث مشهور.

(٢) رواه عنهما ابن جرير رحمه الله.

(٣) أخرجه ابن جرير عن أبي بردة بن أبي موسى مرفوعاً، ورواه أبو يعلى وفيه رجل مبهم.

(٤) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً.

ولأتباعك في الدنيا والآخرة، ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ يعني ذا النون وهو (يونس بن متى) عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر، والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، فحينئذ نادى في الظلمات: ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾، قال الله تعالى: ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾، وقال تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾، وقال ههنا: ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ قال ابن عباس ومجاهد: وهو مغموم، وقال عطاء: مكروب، وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ خرجت الكلمة تحنّ حول العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال هذا يونس، قالوا: يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة، قال: نعم، قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء، فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء، ولهذا قال تعالى: ﴿فاجتباه ربه فجعله من الصالحين﴾، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»[(١)]. وقوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد ﴿ليزلقونك﴾ لينفذونك ﴿بأبصارهم﴾ أي يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عزَّ وجلَّ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية، روى أبو داود عن أنَس قال، قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ»[(٢)]. وروى ابن ماجة، عن بريدة بن الحصيب قال، قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة»[(٣)]. وروى مسلم في صحيحه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»[(٤)]. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام»[(٥)].

وروى الإمام أحمد، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ اشتكى، فأتاه جبريل، فقال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين والله يشفيك[(٦)]، وقال رسول الله ﷺ: «إن العين حق»[(٧)]. **حديث أسماء بنت عميس**: قال الإمام أحمد، عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال، قالت أسماء: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم. فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين»[(٨)]. **حديث عائشة رضي الله**

---

(١) أخرجه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة.

(٢) رو ه أبو داود.

(٣) أخرجه ابن ماجة ورواه البخاري والترمذي عن عمر بن حصين موقوفاً.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) أخرجه البخاري وأهل السنن.

(٦) أخرجه الإمام أحمد.

(٧) أخرجاه في الصحيحين.

(٨) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

عنها : روى ابن ماجة ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقي من العين[(١)]. وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « استعيذوا بالله فإن النفس حق »[(٢)] ، وقال أبو داود عن عائشة قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين[(٣)] . **حديث سهل ابن حنيف** : قال الإمام أحمد ، عن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف أن أباه حدّثه : أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة ، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من (الجحفة) اغتسل سهل بن الأحنف ، وكان رجلاً ابيض حسن الجسم والجلد ، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقيل له : يا رسول الله هل لك في سهل ؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق ، قال : « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة ، فدعا رسول الله ﷺ عامرا فتغيظ عليه ، وقال: « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك برّكت ؟ - ثم قال - اغتسل له » فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبته وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صبَّ ذلك الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس[(٤)]. **حديث عبد الله بن عمرو** : قال الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق »[(٥)] . وقوله تعالى : ﴿ ويقولون إنه لمجنون ﴾ أي يزدرونه بأعينهم، ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون ﴿ إنه لمجنون ﴾ أي لمجيئه بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ .

[آخر تفسير سورة ن ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه الشيخان وابن ماجة .

(٢) أخرجه ابن ماجة .

(٣) رواه أبو داود وأحمد .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ورواه ابن ماجة بنحوه .

(٥) تفرد به الإمام أحمد .

(٦٩) سُورَةُ الحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟
بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ
فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ
بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

﴿ **الحاقَّةُ** ﴾ **من أسماء يوم القيامة**، لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظَّم الله أمرها فقال: ﴿ وما أدراك ما الحاقَّة ﴾، ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى: ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكنتهم، هكذا قال قتادة ﴿ الطاغية ﴾: الصيحة، وهو اختيار ابن جرير، وقال مجاهد: ﴿ الطاغية ﴾ الذنوب، وكذا قال ابن زيد إنها الطغيان، وقرأ: ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾، ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ﴾ أي باردة، قال قتادة والسدي: ﴿ عاتية ﴾ أي شديدة الهبوب، عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم، وقال الضحّاك: ﴿ صرصر ﴾ باردة ﴿ عاتية ﴾ عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة، وقال علي: عتت على الخزنة فخرجت بغير حساب، ﴿ سخرها عليهم ﴾ أي سلطها عليهم ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ﴾ أي كوامل متتابعات مشائيم، قال ابن مسعود: ﴿ حسوماً ﴾ متتابعات، وعن عكرمة والربيع: مشائيم عليهم كقوله تعالى: ﴿ في أيام نحسات ﴾ **ويقال**: إنها التي تسميها الناس الأعجاز، وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى: ﴿ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾. **وقيل**: لأنها تكون في عجز الشتاء، قال ابن عباس: ﴿ خاوية ﴾ خربة، وقال غيره: بالية، أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخرّ ميتاً على أمِّ رأْسه، فينشدخ رأسه، وتبقى جثته هامدة، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « نصرت بالصَّبا وأهلكت

عاد بالدَّبور »[١]. وعن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: « ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عادٍ، الريحَ وما فيها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة »[٢] ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾؟ أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً، ثم قال تعالى: ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ أي ومن قبله من الأمم المشبهين له، وقوله تعالى: ﴿والمؤتفكات﴾ وهم الأمم المكذبون بالرسل، ﴿بالخاطئة﴾ وهي التكذيب بما أنزل الله، قال الربيع ﴿بالخاطئة﴾ أي بالمعصية، وقال مجاهد: بالخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ أي كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى: ﴿إن كلٌّ إلا كذب الرسل فحق وعيد﴾، ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع، كما قال تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾، ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ وإنما جاء إلى كل أمّة رسول واحد، ولهذا قال ههنا: ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ أي عظيمة شديدة أليمة، قال مجاهد ﴿رابية﴾: شديدة، وقال السدي: مهلكة.

ثم قال تعالى: ﴿إنا لمّا طغى الماء﴾ أي ازداد على الحد، وقال ابن عباس: ﴿طغى الماء﴾ كثر، وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام، فاستجاب الله له، وعمَّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته، قال علي بن أبي طالب: لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان، فطغى الماء على الخزان، فخرج، فذلك قوله تعالى: ﴿إنا لمّا طغى الماء﴾ أي زاد على الحد بإذن الله، ﴿حملناكم في الجارية﴾ ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت، فذلك قوله تعالى: ﴿بريح صرصر عاتية﴾[٣]، ولهذا قال تعالى ممتناً على الناس ﴿حملناكم في الجارية﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء، ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ أي وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار، كما قال: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾، وقال تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة، والأول أظهر، ولهذا قال تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية، قال ابن عباس: حافظة سامعة، وقال قتادة: ﴿أذن واعية﴾ عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله. وقال الضحّاك: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ سمعتها أذن ووعت، أي من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام في كل من فهم ووعي.

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ

(١) اخرجاه في الصحيحين.
(٢) رواه ابن أبي حاتم.
(٣) رواه ابن جرير.

﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك (نفخة الفزع)، ثم يعقبها (نفخة الصعق) حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها (نفخة القيام) لرب العالمين، وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع، ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد، قال الربيع: هي النفخة الأخيرة، والظاهر ما قلناه، ولهذا قال ههنا: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ أي فمدت مد الأديم، وتبدلت الأرض غير الأرض، ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ أي قامت القيامة، ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾. عن علي قال: تنشق السماء من المجرة، وقال ابن جريج: هي كقوله: ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾، ﴿والملك على أرجائها﴾ الملك اسم جنس أي الملائكة. على أرجاء السماء: أي حافاتها، وقال الضحّاك: أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنس في قوله: ﴿والملك على أرجائها﴾ يقول: على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض، وقوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[1]. وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة. وقوله تعالى: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ أي تعرضون على عالم السر والنجوى، الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر، ولهذا قال تعالى: ﴿لا تخفى منكم خافية﴾، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾[2]، وروى الإمام أحمد، عن أبي موسى قال، قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»[3].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ أي خذوا اقرأوا كتابيه، لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة، لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات، وعن عبد الله بن عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة) قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا عن ثابت بن الحجّاج.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي.

أفضحك به وإني قد غفرت لك، فيقول عند ذلك: ﴿ هاؤم اقرأوا كتابيه ﴾، ﴿ إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ حين نجا من فضيحته يوم القيامة[١]، وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها، حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله تعالى: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»، وقوله تعالى: ﴿ إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ أي قد كنت موقناً في الدنيا، أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال تعالى: ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ﴾، قال تعالى: ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ أي مرضية، ﴿ في جنة عالية ﴾ أي رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دُورها، دائم حبورها، روى ابن أبي حاتم، عن أبي أمامة قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: «هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: «نعم. إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم»[٢]، وقد ثبت في الصحيح: «أن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض». وقوله تعالى: ﴿ قطوفها دانية ﴾ قال البراء بن عازب: أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره، وكذا قال غير واحد، روى الطبراني، عن سلمان الفارسي قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»[٣]؛ وفي رواية: «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»[٤]، وقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً، وإنعاماً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم، ﴿ فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية ﴾ قال الضحاك: يعني موتة لا حياة بعدها،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) أخرجه الضياء في صفة الجنة.

وقال قتادة: تمنّى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه، ﴿ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه﴾ أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إليّ وحدي، فلا معين لي ولا مجير فعندها يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلّوه﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله، أي تضع الأغلال في عنقه، ثم تورده إلى جهنم فتصليه إيّاها، أي تغمره فيها . عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى: خذوه، ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول: هكذا، فيلقي سبعين ألفاً في النار[1]، وقال الفضيل ابن عياض إذا قال الرب عزَّ وجلَّ ﴿خذوه فغلوه﴾ ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه، ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أي أغمروه فيها، وقوله تعالى: ﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، وقال ابن عباس: بذراع الملك، وقال العوفي عن ابن عباس: يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه، روى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: « لو أن رضاضة مثل هذه - وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها »[2]. وقوله تعالى: ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين﴾ أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا بـه شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي ﷺ وهو يقول: « الصلاة، وما ملكت أيمانكم »، وقوله تعالى: ﴿فليس له اليوم ههنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون﴾ أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى، لا ﴿حميم﴾ وهو القريب، ولا ﴿شفيع﴾ يطاع، ولا طعـام له ههنا ﴿إلا من غسلين﴾ قال قتادة: هو شر طعام أهل النار، وقال الضحّاك: هو شجرة في جهنم، وقال ابن عباس: ما أدري ما الغسلين؟ ولكني أظنه الزقوم[3]، وقال عكرمة عنه: الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم، وعنه: الغسلين صديد أهل النار .

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى مقسماً لخلقه، بمـا يشاهدونه من آياته في مخلوقاته، الدالة على كماله في أسمائه وصفاتـه، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم، إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله، الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم﴾ يعني محمداً ﷺ، أضافه إليه على معنى التبليغ، ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً

---

(١) رواه ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

ما تذكرون﴾ فأضافه الله تارة إلى (جبريل) الرسول الملكي، وتارة إلى (محمد) الرسول البشري، لأن كلا منهما مبلغ عن الله، ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه، ولهذا قال تعالى: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾ قال، فقلت: كاهن، قال: فقرأ ﴿ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين﴾ إلى آخر السورة، قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع. فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى: ﴿ولو تقول علينا﴾ أي محمد ﷺ، لو كان كما يزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده، فنسبه إلينا لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ **قيل**: معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش، **وقيل**: لأخذنا بيمينه، ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق فيه؛ وقال محمد بن كعب: هو القلب ومراقه وما يليه، وقوله تعالى: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه، إذا أردنا به شيئاً من ذلك، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد، لأن الله عزَّ وجلَّ مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات، ثم قال تعالى: ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾. كما قال تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾، ثم قال تعالى: ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ أي مع هذا البيان والوضوح، سيوجد منكم من يكذب بالقرآن، ثم قال تعالى: ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ قال ابن جرير: وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة، ويحتمل عود الضمير على القرآن، أي وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به﴾، وقال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿وإنه لحق اليقين﴾ أي الخبر الصدق الحق، الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب، ثم قال تعالى: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

[آخر تفسير سورة الحاقة، ولله الحمد والمنة]

❊ ❊ ❊

(٧٠) سورة المعارج مكية
وآياتها أربع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ
قَرِيبًا ﴿٧﴾

﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ أي استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله تعالى: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ . قال النسائي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾، قال (النضر ابن الحارث) وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ قال: ذلك سؤال الكفّار عن عذاب الله وهو واقع بهم، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ سأل سائل ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال وهو قولهم: ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾، وقوله تعالى : ﴿ للكافرين ﴾ أي مرصد معد للكافرين، ﴿ ليس له دافع ﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه، ولهذا قال تعالى: ﴿ من الله ذي المعارج ﴾ قال ابن عباس: ذو الدرجات، وعنه: ذو العلو والفواضل، وقال مجاهد ﴿ ذي المعارج ﴾ معارج السماء، وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، وقوله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ قال قتادة ﴿ تعرج ﴾: تصعد، وأما الروح فيحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء، كما دل عليه حديث البراء، في قبض الروح الطيبة وفيه: « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله » .

وقوله تعالى : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ فيه أربعة أقوال: **أحدها** : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة. عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين، إلى منتهى أمره

من فوق السماوات خمسين ألف سنة[١] . **القول الثاني** : أن المراد بذلك مدة بقـاء الدنيا منذ خلق الله هذا العـالم إلى قيام الساعة، قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة، وذلك عمرها يوم سماها الله عزَّ وجلَّ يوماً . وعن عكرمة: ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال: الدنيا من أولهـا إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي إلا الله عزَّ وجلَّ[٢] . **القول الثالث** : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً، روي عن محمد بن كعب قال: هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة[٣] . **القول الرابع** : أن المراد بذلك يوم القيامة، وبه قال الضحّاك وابن زيد وعكرمة، وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ قال: هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال، قيل لرسول الله ﷺ : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا »[٤] . وقال الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمي عليها في نار جهنم، فتكوى بهـا جبهته وجنبه وظهره، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ممـا تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ فاصبر صبراً جميلاً ﴾ أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، واستعجالهم العـذاب استبعاداً لوقوعه كقوله تعالى: ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ﴾، ولهذا قال: ﴿ إنهم يرونه بعيداً ﴾ أي وقوع العذاب، وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ﴿ ونراه قريباً ﴾ أي المؤمنون يعتقدون كونه قريباً وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، ولكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: أي كدردي الزيت، ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ أي كالصوف المنفوش، قاله مجاهد وقتادة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وتكون

(١) رواه ابن أبي حاتم .
(٢) أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة .
(٣) رواه ابن أبي حاتم .
(٤) أخرجه أحمد وابن جرير .
(٥) أخرجه الإمام أحمد .

الجبال كالعهن المنفوش﴾، وقوله تعالى: ﴿ولا يسأل حميم حميماً يبصّرونهم﴾ أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره. قال ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾، وكقوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، وقوله تعالى: ﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه * كلا﴾ أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما يجده من المال، ولو بملء الأرض ذهباً، أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به، قال مجاهد والسدي: ﴿فصيلته﴾ قبيلته وعشيرته، وقال عكرمة: فخذه الذي هو منهم، وقوله: تعالى: ﴿إنها لظى﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿نزاعة للشوى﴾، قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس، وعن ابن عباس: ﴿نزاعة للشوى﴾ الجلود والهام، وقال أبو صالح ﴿نزاعة للشوى﴾ يعني أطراف اليدين والرجلين، وقال الحسن البصري: تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح، وقال الضحّاك: تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً، وقوله تعالى: ﴿تدعوا من أدبر وتولى * وجمع فأوعى﴾ أي تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر، كما يلتقط الطير الحب، وذلك أنهم كانوا ممن أدبر وتولى، أي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه ﴿وجمع فأوعى﴾ أي جمع المال بعضه على بعض، فأوعاه أي أوكاه ومنع حق الله منه، من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة، وقد ورد في الحديث: «ولا توعي فيوعي الله عليك»، وكان عبدالله بن عكيم لا يربط له كيساً، يقول، سمعت الله يقول: ﴿وجمع فأوعى﴾، وقال الحسن البصري: يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا، وقال قتادة في قوله ﴿وجمع فأوعى﴾ قال: كان جموعاً قموماً للخبيث.

* إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾، ثم فسره بقوله: ﴿إذا مسه الشر جزوعاً﴾ أي إذا مسه الضر فزع وجزع، وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصله

له بعد ذلك خير ﴿وإذا مسه الخير منوعاً﴾ أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها. وفي الحديث: «شر ما في الرجُل: شح هالع وجُبن خالع»[1]. ثم قال تعالى: ﴿إلا المصلين﴾ أي إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير، ويسر له أسبابه وهم المصلون ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ **قيل**: معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها، قاله ابن مسعود، **وقيل**: المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ قاله عقبة بن عامر، ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد؛ وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة؛ فإن الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده لم يسكن فيها ولم يدم، بل ينقرها نقر الغراب، فلا يفلح في صلاته؛ **وقيل**: المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه، وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه، وقوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم﴾ أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات، ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب، ولهذا قال تعالى: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي خائفون وجلون، ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي لا يأمنه أحد إلا بأمان من الله تبارك وتعالى، وقوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ أي يكفونها عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ أي من الإماء، ﴿فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ وقد تقدم تفسير هذا بما أغنى عن إعادته ههنا[2]، وقوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي إذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ أي محافظون عليها لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها ولا يكتمونها ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾، ثم قال تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، فافتتح الكلام بذكر الصلاة، واختتمه بذكرها، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها، ﴿أولئك في جنات مكرمون﴾ أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى منكراً على الكفّار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وهم مشاهدون لما أيده الله به من المعجزات

(١) رواه أبو داود.
(٢) تقدم تفسيره في أول سورة ﴿قد أفلح المؤمنون﴾.

الباهرات، ثم هم شاردون يميناً وشمالاً فرقاً فرقاً، ﴿ كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة ﴾ ، قال تعالى: ﴿ فما للذين كفروا قبلك مهطعين ﴾ أي فما لهؤلاء الكفّار الذين عندك يا محمد ﴿ مهطعين ﴾ أي مسرعين نافرين منك، قال الحسن البصري ﴿ مهطعين ﴾ أي منطلقين، ﴿ عن اليَمين وعن الشمال عزين ﴾ واحدها عزة أي متفرقين، وقال ابن عباس: ﴿ فما للذين كفروا قبلك مهطعين ﴾ قال: قبلك ينظرون ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ العزين: العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به، وعن الحسن في قوله: ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ أي متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما قال هذا الرجل؟ وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق فقال: «مالي أراكم عزين؟»[1]. وقوله تعالى: ﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا ﴾ أي أيطمع هؤلاء، والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ، ونفارهم عن الحق، أن يدخلوا جنات النعيم؟ كلا، بل مأواهم جهنم، ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم مستدلاً عليهم بالبداءة: ﴿ إنا خلقناهم مما يعلمون ﴾ أي من المني الضعيف، كما قال تعالى: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾، وقال: ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾ أي الذي خلق السماوات والأرض، وسخّر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها، ﴿ إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم ﴾ أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فإن قدرته صالحة لذلك، ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ أي بعاجزين، كما قال تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾، وقال تعالى: ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾، واختار ابن جرير ﴿ على أن نبدل خيراً منهم ﴾ أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله: ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾، والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه، والله سبحانه وتعالى أعلم. ثم قال تعالى: ﴿ فذرهم ﴾ أي يا محمد ﴿ يخوضوا ويلعبوا ﴾ أي دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم، ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ أي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله، ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ أي يقومون من القبور، إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب، ينهضون سراعاً ﴿ كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ قال ابن عباس: إلى علَم يسعون، وقال أبو العالية: إلى غاية يسعون إليها. ﴿ نُصُب ﴾ بضم النون والصاد وهو الصنم، أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف، كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه، ﴿ يوفضون ﴾ يبتدرون أيهم يستلمه أول، وهذا مروي عن مجاهد وقتادة والضحّاك وغيرهم، وقوله تعالى: ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾ أي خاضعة ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ أي في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ﴿ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ .

[آخر تفسير سورة سأل سائل، ولله الحمد والمنة]

✲ ✲ ✲

---

(١) أخرجه ابن جرير عن أبي هريرة، ورواه أحمد ومسلم والنسائي بنحوه.

(٧١) سورة نوح مكية
وآياتها ثمان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ
ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام، أنه أرسله إلى قومه، آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾ أي بيّن النذارة، ظاهر الأمر واضحه ﴿ان اعبدوا الله واتقوه﴾ أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه، ﴿وأطيعونِ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه، ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي إذا فعلتم ما آمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم، ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ أي يمد في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب، وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة، كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»، وقوله تعالى: ﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ أي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنَّ أمره تعالى لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قد قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا
﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ
لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ

﴿فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله (نوح) عليه السلام، أنه اشتكى إلى ربه عزَّ وجلَّ، ما لقي من قومه في تلك المدة الطويلـة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بيّن لقومه ووضّح لهم فقال: ﴿رب إني دعوت قومي ليـلاً ونهاراً﴾ أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار، وامتثالاً لأمرك وابتغاء لطاعتك، ﴿فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾ أي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق، فروا منه وحادوا عنه، ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم﴾ أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه، كما أخبر تعالى عن كفار قريش ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾، ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ قال ابن عباس: تنكروا له لئلا يعرفهم، وقال السدي: غطوا رؤوسهم لئلا يسمعوا ما يقول، ﴿وأصروا﴾ أي استمروا على ما هم فيـه من الشرك، والكفر العظيم الفظيع، ﴿واستكبروا استكباراً﴾ أي واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له، ﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾ أي جهرة بين الناس، ﴿ثم إني أعلنت لهم﴾ أي كلاماً ظاهراً بصوت عال ﴿وأسررت لهم إسراراً﴾ أي فيما بيني وبينهم، فنوّع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم، ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ أي ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب الله عليه ، ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ أي متواصلة الأمطار ، قال ابن عباس : يتبع بعضه بعضاً، وقوله تعالى: ﴿ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ أي إذا تبتم إلى الله وأطعتموه، كثّر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأمدّكم ﴿بأموال وبنين﴾ أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقـام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، فقال: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ ؟ أي عظمة قال ابن عباس : لم لا تعظمون الله حق عظمته، أي لا تخافون من بأسه ونقمته ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ **قيل**: معناه من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة قاله ابن عباس وقتادة .

وقوله تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً﴾ أي واحدة فوق واحدة، ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها، فإنها تسير من المغرب إلى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرّة، والشمس في كل سنة مرة، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة، وإنما المقصود أن الله سبحانه وتعالى: ﴿خلق سبع سماوات طباقاً * وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾ أي فاوت بينهما في الاستنارة ، فجعل كلاً منهما أنموذجاً على حدة، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدّر للقمر منازل وبروجاً، وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى يتناهى، ثم يشرع في النقص حتى يستسر ، ليدل على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عـدد السـنين والحساب﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ هذا اسم مصدر والإتيان به ههنا أحسن، ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ أي إذا متم ﴿ويخرجكم إخراجاً﴾ أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة، ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ أي بسطها ومهدها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات، ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ أي

خلقها لكم لتستقروا عليها، وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها، ينبههم نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السماوات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء، والأرض مهاداً، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾

يقول تعالى: مخبراً عن نوح عليه السلام، أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه، واتبعوا من غفل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج لا إكرام، ولهذا قال: ﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾، وقوله تعالى: ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ قال مجاهد: ﴿كباراً﴾ أي عظيماً، وقال ابن زيد: ﴿كباراً﴾ أي كبيراً، والعرب تقول: أمر عجيب وعجاب وعجّاب، بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد، ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ أي باتباعهم لهم وهم على الضلال، كما يقولون لهم يوم القيامة: ﴿بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ﴿ود﴾ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما (سُـواع) فكانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما (يعـوق) فكانت لهمدان، وأما (نسر) فكانت لحِمْيَر لآل ذي كلاع، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت[1]. وقال ابن جرير، عن محمد بن قيس ﴿ويغوث ويعوق ونسراً﴾ قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم، لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم[2]، وقوله تعالى: ﴿وقد أضلوا كثيراً﴾ يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها إلى زماننا هذا، في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه: ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾. وقوله تعالى: ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم، كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به.

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس، وكذا روي عن عكرمة وقتادة والضحّاك.

(٢) رواه ابن جرير عن محمد بن قيس.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم، وإصرارهم على كفرهم، ومخالفتهم رسولهم، ﴿أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾ أي نقلوا من البحار إلى حرارة النار، ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ أي لم يكن لهم معين ولا مجير، ينقذهم من عذاب الله، كقوله تعالى: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾. ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً، ولا ﴿دياراً﴾ وهذه من صيغ تأكيد النفي، قال الضحّاك ﴿دياراً﴾ واحداً، وقال السدي: الديار الذي يسكن الدار، فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين، حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه. وقال: ﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها، ثم صعدت الجبل، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم هذه المرأة»[1]، ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه، وقوله تعالى: ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك﴾ أي إنك إن أبقيت منهم أحداً، أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ أي فاجراً في الأعمال كافر القلب، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم قال: ﴿رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾ قال الضحّاك يعني مسجدي، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن. وقد روى الإمام أحمد، عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»[2]، وقوله تعالى: ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام، وبما جاء في الآثار، والأدعية المشهورة المشروعة، وقوله تعالى: ﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ قال السدي: إلا هلاكاً، وقال مجاهد: إلا خساراً أي في الدنيا والآخرة.

[آخر تفسير سورة نوح عليه السلام، ولله الحمد]

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، قال ابن كثير: حديث غريب ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٧٢) سورة الجن مكية
وآياتها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ
بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ، أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن، فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى: ﴿قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد﴾ أي إلى السداد والنجاح ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ كقوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾، وقوله تعالى: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ قال ابن عباس ﴿جد ربنا﴾ آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه، وقال مجاهد: جلال ربنا، وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره، وقال السدي: تعالى أمر ربنا، وقال سعيد بن جبير: ﴿تعالى جد ربنا﴾ أي تعالى ربنا، وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، أي قالت الجن: تنزه الرب جلَّ جلاله عن اتخاذ الصاحبة والولد، ثم قالوا: ﴿وإنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً﴾، قال مجاهد ﴿سفيهنا﴾ يعنون إبليس، ﴿شططاً﴾ أي جوراً، وقال ابن زيد: أي ظلماً كبيراً، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: سفيهنا اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولداً، ولهذا قالوا: ﴿وإنه كان يقول سفيهنا﴾ أي قبل إسلامه، ﴿على الله شططاً﴾ أي باطلاً وزوراً، ولهذا قالوا: ﴿وإنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ أي ما حسبنا أن الإنس والجن، يتمالأون على الكذب على الله تعالى، في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾، كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون

بهم من خوفهم منهم ﴿زادوهم رهقاً﴾ أي خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم، كما قال قتادة ﴿فزادوهم رهقاً﴾ أي إثماً، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، وقال الثوري ﴿فزادوهم رهقاً﴾ أي ازدادت الجن عليهم جرأة، وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه ومالي أو ولدي أو ماشيتي، قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك، وعن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس، فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾ أي إثماً[١]، وقال أبو العالية ﴿رهقاً﴾ أي خوفاً، وقال ابن عباس: أي إثماً، وقال مجاهد: زاد الكفار طغياناً. روى ابن أبي حاتم، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتهى صف الليل جاء ذئب، فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي، فقال: يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه، يقول: يا سرحان أرسله، فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة، وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً﴾ أي لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولاً.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها لئلا يسترقون شيئاً من القرآن، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجن: ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾ أي من يروم أن يسترق السمع اليوم، يجد له شهاباً مرصداً له، لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه، ﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ أي ما ندري هذا الأمر الذي قد حدث في السماء، لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله عزَّ وجلَّ، وقد ورد في الصحيح: «والشر ليس إليك» وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك، وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

وتمرد في طغيانه من بقي، كما تقدم حديث ابن عباس عند قوله في سورة الأحقاف: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ الآية. ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر، وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له، وظنوا أن ذلك لخراب العالم، فأتوا إبليس فحدَّثوه بالذي كان من أمرهم فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه، فشم فقال: صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام، يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ[1].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

يقول تعالى مخبراً عن الجن ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾ أي غير ذلك، ﴿كنا طرائق قدداً﴾ أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد ﴿كنا طرائق قدداً﴾ أي منا المؤمن ومنا الكافر، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال، سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد:

قلوب براها الحب حتى تعلقت ... مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها ... معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى: ﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً﴾ أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه ولو أمعنا في الهرب، فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا. ﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع، وصفة حسنة، وقولهم: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾ قال ابن عباس وقتادة: فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾، ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ أي منا المسلم ومنا القاسط، وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط، فإنه العادل، ، ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً﴾ أي طلبوا لأنفسهم النجاة، ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ أي وقوداً تسعر بهم، ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً * لنفتنهم فيه﴾ اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين: (**أحدهما**): وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، واستمروا عليها ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ أي كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

(١) هذه بعض رواية ذكرها السدي.

من السماء والأرض﴾، وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنختبرهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية. قال ابن عباس: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ يعني بالاستقامة الطاعة، وقال مجاهد: يعني الإسلام[1]. وقال قتادة: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا. قال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين، (**والقول الثاني**): ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ الضلال ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ أي لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً، كما قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ وهذا قول أبي مجلز، وحكاه البغوي عن الربيع، وزيد بن أسلم، والكلبي، وله اتجاه ويتأيد بقوله ﴿لنفتنهم فيه﴾، وقوله: ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً﴾ أي عذاباً مشقاً موجعاً مؤلماً، قال ابن عباس ومجاهد ﴿عذاباً صعداً﴾ أي مشقة لا راحة معها، وعن ابن عباس: جبل في جهنم.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيّه ﷺ أن يوحّده وحده، وقال ابن عباس: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام، ومسجد إيليا بيت المقدس[2]، وروى ابن جرير، عن سعيد بن جبير قال، قالت الجن لنبي الله ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون؟ أي بعيدون عنك، وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[3]. وقال عكرمة: نزلت في المساجد كلها، وقوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾ قال ابن عباس يقول: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن، كادوا يركبونه من الحرص لمّا سمعوه يتلو القرآن، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه: ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن﴾ يستمعون القرآن، وقال الحسن: لما قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعاً، وقال قتادة: تلبّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه[4]، وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه، وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به

(١) وكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والسدي وابن المسيب ومحمد بن كعب القرظي.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير.

(٤) هذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وهو اختيار ابن جرير.

من الحق واجتمعوا على عداوته ﴿إنما أدعوا ربي﴾ أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ﴿ولا أشرك به أحداً﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ أي إنما أنا عبد من عباد الله، ليس إليّ من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عزّ وجلّ، ثم أخبر عن نفسه أيضاً أنه لا يجيره من الله أحد، أي لو عصيته، فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه ﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ قال مجاهد: لا ملجأ، وقال قتادة: أي لا نصير ولا ملجأ، وفي رواية: لا ولي ولا موئل، وقوله تعالى: ﴿إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ مستثنى من قوله: ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً إلا بلاغاً﴾ ويحتمل أن يكون استثناء من قوله: ﴿لن يجيرني من الله أحد﴾ أي لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ أي أنا رسول الله أبلغكم رسالة الله فمن يعصِ بعد ذلك فله جزاء ﴿نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ أي لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها، وقوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون ما يوعدون يوم القيامة، فسيعلمون يومئذ ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؛ أي بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عدداً من جنود الله عزّ وجلّ .

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً﴾ أي مدة طويلة، ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ٭ إلا من ارتضى من رسول﴾ هذه كقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ثم قال تعالى: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله، ويساوقونه على ما معه من وحي الله، ولهذا قال: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ ، وقد اختلف المفسرون في الضمير في قوله ﴿ليعلم﴾ إلى من يعود ؟ فقيل: إنه عائد إلى النبي ﷺ، روى ابن جرير، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ﴿ليعلم﴾ محمد ﷺ ﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾[1] ، وقال قتادة: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ قال: ليعلم نبي الله أن الرسل قد

(١) حكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير .

بلغت عن الله، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها[1] ، وقيل المراد: ليعلم أهل الشرك أن قـد أبلغوا رسالات ربهم، قال مجاهد: ليعلم من كذب الرسل أن قـد أبلغوا رسالات ربهم، وفي هذا نظر، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عزَّ وجلَّ[2] . ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾، وكقوله تعالى: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ إلى أمثال ذلك، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعـاً لا محـالة، ولهـذا قال بعد ذلك: ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ .

[آخر تفسير سورة الجن، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، واختاره ابن جرير .

(٢) حكاه ابن الجوزي في (زاد المسير) .

(٧٣) سورة المزمل مكية وآياتها عشرون

عن جابر رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسماً يصد الناس عنه، فقالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحر، قالوا: ليس بساحر، فتفرق المشركون على ذلك، فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمَّل في ثيابه وتدثر فيها، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: ﴿يا أيها المزمل﴾، ﴿يا أيها المدثر﴾[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو التغطي، وينهض إلى القيام لربه عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾، فقال تعالى: ﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً﴾، قال ابن عباس ﴿يا أيها المزمل﴾ يعني يا أيها النائم، وقال قتادة: المزمل في ثيابه، وقال إبراهيم النخعي: نزلت وهو متزمل بقطيفة، وقوله تعالى: ﴿نصفه﴾ بدل من الليل ﴿أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه﴾ أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة، أو نقصان قليل، لا حرج عليك في ذلك، وقوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ أي اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة: كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها، وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن

---

(١) أخرجه الحافظ البزار.

قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مداً، ثم قرأ: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم[١]، وعن أُمّ سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقطع قراءته آية آية: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾[٢]، وفي الحديث: « يقال لقارئ القرآن: اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »[٣]. وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل، وتحسين الصوت بالقراءة، كما جاء في الحديث: « زينوا القرآن بأصواتكم » و « ليس منا من لم يتغن بالقرآن ». وقال ابن مسعود: لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة[٤]، وقوله تعالى: ﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ قال الحسن وقتادة: أي العمل به، وقيل: ثقيل وقت نزوله من عظمته، كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أُنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت ترض فخذي، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال: « أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[٥]. وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها[٦].

وقوله تعالى: ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً﴾ قال عمر: الليل كله ناشئة، وقال مجاهد: نشأ إذا قام من الليل، وفي رواية عنه: بعد العشاء، والغرض أن ﴿ ناشئة الليل﴾ هي ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿ هي أشد وطأ وأقوم قيلاً﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش، ، ولهذا قال تعالى: ﴿ إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾، قال أبو العالية ومجاهد: فراغاً طويلاً، وقال قتادة: فراغاً وبغية ومتقلباً، وقال السدي: ﴿سبحاً طويلاً﴾ تطوعاً كثيراً، وقال عبد الرحمن ابن زيد ﴿ سبحاً طويلاً﴾ قال: لحوائجك فأفرغ لدينك الليل، وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة، ثم إن الله تبارك وتعالى منَّ على عباده فخففها، ووضعها. روى الإمام أحمد، عن زرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام قال، قلت: يا أمّ المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن، فهممت أن أقوم، ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ، قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ هذه السورة: ﴿ يا أيها المزمل﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي.
(٣) أخرجه أحمد ورواه الترمذي والنسائي.
(٤) رواه البغوي عن ابن مسعود موقوفاً.
(٥) أخرجه البخاري في أول صحيحه.
(٦) الجران: باطن العنق.

قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هـذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة[1].

ورُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل، فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب وكان بهم رحيماً فخشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال: «أيها الناس أكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه» ونزل القرآن: ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه﴾ حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل.

وقال ابن جرير: لما نزلت ﴿يا أيها المزمل﴾ قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت: ﴿فاقرأوا ما تيسر منه﴾ قال: فاستراح الناس. وقوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً﴾ أي أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، كما قال تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ إي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته، وعبادته لتكون فارغ البال، ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ أي أخلص له العبادة، وقال الحسن: اجتهد وابتل إليه نفسك، وقال ابن جرير: يقال للعـابد متبتل، ومنه الحديث المروي (نهى عن التبتل) يعني الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج، وقوله تعالى: ﴿رب المشرق والمغرب لا آله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾ أي هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلاً، كما قال تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾، وكقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر، على ما يقوله سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً، وهو الذي لا عتاب معه، ثم قال له متهدداً لكفار قومه: ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾ أي والمكذبين المترفين أصحاب الأموال، ﴿ومهلهم قليلاً﴾ أي رويداً، كما قال تعالى: ﴿نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿إن لدينا أنكالاً﴾ وهي القيود، قاله ابن عباس وعكرمة والسدي وغير واحد، ﴿وجحيماً﴾ وهي السعير المضطرمة، ﴿وطعاماً ذا غصة﴾ قال ابن عباس: ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج، ﴿وعذاباً أليماً * يوم ترجف الأرض

(١) أخرجه الإمام أحمد، وهو جزء من حديث طويل، وقد رواه مسلم في صحيحه بنحوه.

والجبال﴾ أي تزلزل، ﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ أي تصير ككثبان الرمال بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض ﴿قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً﴾ أي وادياً ﴿ولا أمتاً﴾ أي رابية، ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع، ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش والمراد سائر الناس: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم﴾ أي بأعمالكم، ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾، قال ابن عباس ﴿أخذاً وبيلاً﴾ أي شديداً، فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول، فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾، وقوله تعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ أي فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟ وكيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم؟ ومعنى قوله: ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله تعالى لآدم: ابعث بعث النار، فيقول: من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، وقوله تعالى: ﴿السماء منفطر به﴾ قال الحسن وقتادة: أي بسببه من شدته وهوله، وقوله تعالى: ﴿كان وعده مفعولاً﴾ أي كان وعد هذا اليوم مفعولاً، أي واقعاً لا محالة وكائناً لا محيد عنه.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى: ﴿إنَّ هذِهِ﴾ أي السورة ﴿تذكرة﴾ أي يتذكر بها أولو الألباب، ولهذا قال تعالى: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي ممن شاء الله تعالى هدايته، ثم قال تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾ أي تارة هكذا وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل، لأنه يشق عليكم، ولهذا قال: ﴿والله يقدّر الليل والنهار﴾ أي تارة يعتدلان، وتارة يأخذ هذا من هذا، وهذا من هذا، ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أي الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ أي من غير تحديد بوقت، أي ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك ﴿ولا تخافت بها﴾، وقد استدل أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهي قوله: ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة، واعتضد

بحديث المسيء صلاته: «ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن»[١]، وقد أجاب الجمهور بحديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[٢]. وعن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجزيء صلاة من لم يقرأ بأُمّ القرآن»[٣]. وقوله تعالى: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ أي علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار، من مرضى لا يستطيعون القيام ومسافرين يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر، وآخرين مشغولين بالغزو في سبيل الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فاقرأوا ما تيسر منه﴾ أي قوموا بما تيسر عليكم منه، روى ابن جرير، عن أبي رجاء قال، قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، ولا يقوم به إنما يصلي المكتوبة؟ قال: يتوسد القرآن لعن الله ذاك، قال الله تعالى للعبد الصالح: ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾، ﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾، قلت: يا أبا سعيد قال الله تعالى ﴿فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾، قال: نعم، ولو خمس آيات، وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري، أنه كان يرى حقاً واجباً على حملة القرآن، أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح؟ فقال: «ذاك رجُل بال الشيطان في أُذنه» فقيل معناه نام عن المكتوبة، وقيل عن قيام الليل.

وقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة، وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل: «خمس صلوات في اليوم والليلة»، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلّا أن تطوّع»، وقوله تعالى: ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ يعني من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾، وقوله تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾ أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا، عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟» قالوا: يا رسول الله، مامنا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: «اعلموا ما تقولون»، قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله، قال: «إنما مال أحدكم ما قدّم، ومال وارثه ما أخر»[٤]، ثم قال تعالى: ﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها، فإنه غفور رحيم لمن استغفره.

[آخر سورة المزمل، ولله الحمد والمنة]

✲ ✲ ✲

(١) جزء من حديث مشهور رواه الشيخان.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه.

(٤) أخرجه الحافظ الموصلي، ورواه البخاري والنسائي بنحوه.

(٧٤) سورة المدثر مكية
وآياتها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

روى البخاري، عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال: « جاورت بحراء فلما قضيت جواري، هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني، فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني وصبوا عليَّ ماء بارداً—قال— فدثروني وصبُّوا عليَّ ماء بارداً، قال، فنزلت: ﴿ يا أيها المدثر * قُمْ فأنذر * وربك فكبِّر ﴾[1]. وعن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدِّث عن فترة الوحي فقال في حديثه: « فبينا أنا أمشي إذْ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبَل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي فقلت: زملوني. زملوني، فزملوني، فأنزل: ﴿ يا أيها المدثر * قُمْ فأنذر – إلى – فاهجر ﴾، قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان، « ثم حمي الوحي وتتابع »[2]. وهذا السياق يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله: « فإذا الملك الذي كان بحراء، » وهو جبريل حين أتاه بقوله: ﴿ اقْرَأْ باسْمِ ربِّك الذي خلق ﴾، ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا، كما قال الإمام أحمد، عن جابر بن عبد الله، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « ثم فتر الوحي عني فترة، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبَل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي، فقلت لهم: زملوني. زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر *

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

قُمْ فأنذر * وربك فكبِّر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر﴾ ثم حمي الوحي وتتابع »[١]. وروى الطبراني، عن ابن عباس قال: إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل ساحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحزن وقنّع رأسه وتدثر، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر﴾ وقوله تعالى ﴿قم فأنذر﴾ أي شمر عن ساق العزم وأنذر الناس ﴿وربك فكبر﴾ أي عظِّم ﴿وثيابك فطهِّر﴾ سئل ابن عباس عن هذه الآية: ﴿وثيابك فطهر﴾ فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدرة، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

فإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

وفي رواية عنه: فطهر من الذنوب، وقال مجاهد: ﴿وثيابك فطهر﴾ قال: نفسك ليس ثيابه، وفي رواية عنه: أي عملك فأصلح، وقال قتادة: ﴿وثيابك فطهر﴾ أي طهرها من المعاصي، وقال محمد بن سيرين: ﴿وثيابك فطهر﴾ أي اغسلها بالماء، وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه، وهذا القول اختاره ابن جرير، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه. وقال سعيد بن جبير ﴿وثيابك فطهر﴾ وقلبك ونيتك فطهر.

وقوله تعالى: ﴿والرجز فاهجر﴾ قال ابن عباس: والرجز وهو الأصنام فاهجر[٢]، وقال الضحّاك ﴿والرجز فاهجر﴾: أي اترك المعصية، وعلى كل تقدير، فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾. وقوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾، قال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها، وقال الحسن البصري: لا تمنن بعملك على ربك تستكثره، واختاره ابن جرير، وقال مجاهد: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب تضعف، وقال ابن زيد: لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضاً من الدنيا، فهذه أربعة أقوال، والأظهر القول الأول، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾ أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عزَّ وجلَّ، قاله مجاهد. وقال إبراهيم النخعي: اصبر عطيتك لله عزَّ وجلَّ. وقوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ﴿الناقور﴾ الصور، قال مجاهد: وهو كهيئة القرن، وفي الحديث: « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟ » فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا »[٣]، وقوله تعالى: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ أي شديد، ﴿على الكافرين غير يسير﴾ أي غير سهل عليهم، كما قال تعالى: ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾، وقد روينا عن (زرارة بن أوفى)

---

(١) خرجه أحمد والشيخان.

(٢) وهو قول مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد أن الرجز يراد به الأوثان.

(٣) أخرجه أحمد وابن أبي حاتم.

قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ شهق شهقة، ثم خرّ ميتاً رحمه الله تعالى.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث، الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله وبدلها كفراً، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وقد عدّد الله عليه نعمه حيث قال تعالى: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ أي خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله تعالى: ﴿ مالاً ممدوداً ﴾ أي واسعاً كثيراً، قيل: ألف دينار، وقيل: مائة ألف دينار، وقيل أرضاً يستغلها، وقيل غير ذلك، وجعل له ﴿ بنين شهوداً ﴾ قال مجاهد: لا يغيبون، أي حضوراً عنده لا يسافرون، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم، وكانوا فيما ذكره السدي ثلاثة عشر، وقال ابن عباس ومجاهد: كانوا عشرة، وهذا أبلغ في النعمة، وهو إقامتهم عنده، ﴿ ومهدت له تمهيداً ﴾ أي مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك، ﴿ ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ﴾ أي معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم.

قال الله تعالى: ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾. روى ابن أبي حاتم، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت»[1]، وقال ابن عباس ﴿ صعوداً ﴾ صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه، وقال السدي: ﴿ صعوداً ﴾: صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها، وقال مجاهد: ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ أي مشقة من العذاب، وقال قتادة: عذاباً لا راحة فيه، واختاره ابن جرير، وقوله تعالى: ﴿ إنه فكر وقدر ﴾ أي إنما أرهقناه صعوداً لبعده عن الإيمان لأنه فكّر ﴿ وقدّر ﴾ أي تروّى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكّر ماذا يختلق من المقال ﴿ وقدّر ﴾ أي تروّى ﴿ فقتل كيف قدّر * ثم قتل كيف قدّر ﴾ دعاء عليه ﴿ ثم نظر ﴾ أي أعاد النظرة والتروي ﴿ ثم عبس ﴾ أي قبض بين عينيه وقطّب ﴿ وبسر ﴾ أي كلح وكره، ومنه قول توبة بن حمير:

وقد رابني منها صدود رأيته وإعراضها عن حاجتي وبُسُورها

وقوله تعالى: ﴿ ثم أدبر واستكبر ﴾ أي صرف عن الحق، ورجع القهقرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن ﴿ فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾ أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم، ولهذا قال: ﴿ إن هذا

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والبزار وابن جرير.

إلا قول البشر﴾ أي ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا السياق هو (الوليد بن المغيرة) المخزومي، أحد رؤساء قريش لعنه الله، قال ابن عباس: «دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر، فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا، وقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصبو قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال الوليد: ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: ألست أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟ فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ إلى قوله ﴿لا تبقي ولا تذر﴾[1] وقال قتادة: زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل، فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله: ﴿فقتل كيف قدّر﴾ الآية، ﴿ثم عبس وبسر﴾ قبض ما بين عينيه وكلح، وروى ابن جرير عن عكرمة: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام، فأتاه فقال: أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لم؟ قال: يعطونكه، فإنك أتيت محمداً تعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال، وأنك كاره له، قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أتفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ حتى بلغ ﴿تسعة عشر﴾[2]. وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر، وقال آخرون: ساحر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون، كما قال تعالى: ﴿أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر، ونظر وعبس وبسر، فقال: (إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر) قال الله تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ أي سأغمره فيها من جميع جهاته، ثم قال تعالى: ﴿وما أدراك ما سقر﴾؟ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم، ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون.

وقوله تعالى: ﴿لواحة للبشر﴾ قال مجاهد: أي للجلد، وقال أبو رزين: تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل، وقال ابن عباس: تحرق بشرة الإنسان، وقوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي من مقدمي الزبانية، عظيم خلقهم، غليظ خُلُقهم، روى ابن أبي حاتم، عن البراء في قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال: إن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم، فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء رجل فأخبر

(١) أخرجه العوفي عن ابن عباس.

(٢) رواه ابن جرير.

النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ فأخبر أصحابه[1]. وروى الحافظ البزار عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، غلب أصحابك اليوم ، فقال : « بأي شيء » ؟ قال: سألتهم يهود : هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ، قال رسول الله ﷺ: « أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون فقالوا: لا نعلم، حتى نسأل نبينا ﷺ ؟ عليَّ بأعداء الله ، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة » ، فأرسل إليهم فدعاهم، قالوا : يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال: « هكذا » وطبّق كفيه، ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة، وقال لأصحابه: « إن سئلتم عن تربة الجنة فهي الدرمك » فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار ، قال لهم رسول الله ﷺ: « ما تربة الجنة » فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال: « الخبز من الدرمك »[2] .

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى: ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ أي خزانها ﴿ إلا ملائكة ﴾ أي زبانية غلاظاً شداداً ، وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم، فقال الله تعالى: ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ أي شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون، وقد قيل: إن (أبا الأشدين) قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، قال السهيلي : وهو الذي دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن[3] ، وقوله تعالى: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس، ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي يعلمون أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله، وقوله تعالى: ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانًا ﴾ أي إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم ﷺ، ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ أي من المنافقين، ﴿ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾ ؟

(١) رواه ابن أبي حاتم .

(٢) رواه البزار وأحمد والترمذي .

(٣) نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد ، قال ابن كثير : ولا منافاة بين ما ذكراه والله أعلم .

أي يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى: ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وقوله تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، وقد ثبت في حديث الإسراء في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم»(١).

وروى الإمام أحمد، عن أبي ذر قال، قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تعضد(٢)، وعن جابر بن عبدالله قال، قال رسول الله ﷺ: «ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف، إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً»(٣). وعن ابن مسعود أنه قال: إن من السماوات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم، ثم قرأ: ﴿وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون﴾(٤). وروى محمد ابن نصر، عن عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطأة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق السماوات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عزَّ وجلَّ قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»(٥). وقوله تعالى: ﴿وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ أي النار التي وصفت ﴿إلا ذكرى للبشر﴾، ثم قال تعالى: ﴿كلا والقمر * والليل إذ أدبر﴾ أي ولّى ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أي أشرق ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ أي العظائم يعني النار، قاله ابن عباس ومجاهد، ﴿نذيراً للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾
مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾
وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾
كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ

---

(١) أخرجاه في الصحيحين.
(٢) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن غريب.
(٣) أخرجه الحافظ الطبراني.
(٤) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة. (٥) أخرجه محمد بن نصر، قال ابن كثير: إسناده لا بأس به.

ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبراً أن ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ أي معتقلة بعملها يوم القيامة ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ فإنهم ﴿ في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾ أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات، وأولئك في الدركات قائلين لهم ﴿ ما سَلَكَكُمْ في سقر * قالوا لم نَكُ من المصلِّين * ولم نَكُ نُطْعِمُ المسكين ﴾ أي ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا، ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ أي نتكلم فيما لا نعلم، وقال قتادة: كلما غوى غاوٍ غوينا معه، ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ يعني الموت كقوله تعالى: ﴿ وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «أما هو – يعني عثمان بن مظعون – فقد جاءه اليقين من ربه» قال تعالى: ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه، لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى الله كافراً، فإن له النار لا محالة خالداً فيها. ثم قال تعالى: ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ أي فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين ﴿ كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ﴾ أي كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه، حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد[1]، وقوله تعالى: ﴿ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة ﴾ أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ، قال مجاهد وغيره كقوله تعالى: ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى يؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾، وفي رواية عن قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل، فقوله تعالى: ﴿ كلا بل لا يخافون الآخرة ﴾ أي إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها، ثم قال تعالى: ﴿ كلا إنه تذكرة ﴾ أي حقاً إن القرآن تذكرة، ﴿ فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله ﴾ كقوله: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ أي هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ الآية ﴿ هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ وقال: «قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له»[2].

[آخر تفسير سورة المدثر، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) قاله أبو هريرة وابن عباس وزيد بن أسلم، وهو قول الجمهور.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب.

(٧٥) سورة القيامة مكية
وآياتها أربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ
عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾
كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ
ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

قد تقدم أن المقسم عليه إذا كان منتفياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي، والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد، والرد على ما يزعمه الجهلة من عدم بعث الأجساد، ولهذا قال تعالى: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللّوّامة ﴾ قال الحسن: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة، وقال قتادة: بل أقسم بهما جميعاً، والصحيح أنه أقسم بهما معاً وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير، واختاره ابن جرير، فأما يوم القيامة فمعروف، وأما النفس اللوامة فقال الحسن البصري: إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً ما يعاتب نفسه، وعن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ قال: يلوم على الخير والشر: لو فعلت كذا وكذا، وعن سعيد بن جبير قال: تلوم على الخير والشر، وقال مجاهد: تندم على ما فات وتلوم عليه، وقال ابن عباس: اللوامة المذمومة، وقال قتادة: ﴿ اللوامة ﴾ الفاجرة، قال ابن جرير: وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات. وقوله تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾ ؟ أي يوم القيامة، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿ بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾ قال ابن عباس:

أن نجعله خفاً أو حافراً[1]، والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿ قادرين ﴾ حال من قوله تعالى ﴿ نجمع ﴾ أي أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه، أي قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية، وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج، وقوله: ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ قال ابن عباس: يعني يمضي قدماً، وعنه: يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة، وقال مجاهد ﴿ ليفجر أمامه ﴾: ليمضي أمامه راكباً رأسه، وقال الحسن: لا يلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً إلا من عصمه الله تعالى، وروي عن غير واحد من السلف: هو الذي يعجل الذنوب ويسوّف التوبة، وقال ابن عباس: هو الكافر يكذب بيوم الحساب، وهذا هو الأظهر من المراد، ولهذا قال بعده: ﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾؟ أي يقول متى يكون يوم القيامة، وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾، وقال تعالى ههنا: ﴿ فإذا برق البصر ﴾ بكسر الراء أي حار كقوله تعالى: ﴿ لا يرتد إليهم طرفهم ﴾، والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور.

وقوله تعالى: ﴿ وخسف القمر ﴾ أي ذهب ضوؤه، ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ قال مجاهد: كوّرا، كقوله ﴿ إذا الشمس كوّرت ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾ أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينئذ يريد أن يفر ويقول: ﴿ أين المفر ﴾؟ أي هل من ملجأ أو موئل، قال الله تعالى: ﴿ كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: أي لا نجاة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير ﴾ أي ليس لكم مكان تتنكرون فيه، وكذا قال ههنا: ﴿ لا وزر ﴾ أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه، ولهذا قال: ﴿ إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ أي المرجع والمصير، ثم قال تعالى: ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر ﴾ أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى: ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾، وهكذا قال ههنا: ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، كما قال تعالى: ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ وقال ابن عباس ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ يقول: سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه، وقال قتادة: شاهد على نفسه، وفي رواية قال: إذا شئت والله رأيته بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم، غافلاً عن ذنوبه وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوباً: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك، وتترك الجذع في عينك لا تبصره، وقال مجاهد: ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ ولو جادل عنها فهو بصير عليها، وقال قتادة: ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه، وقال السدي: ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ حجته، واختاره ابن جرير، وقال الضحّاك: ولو ألقى ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر المعذار، والصحيح قول مجاهد وأصحابه، كقوله تعالى: ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون

---

(١) وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحّاك، قال ابن جرير: أي في الدنيا لو شاء لجعل ذلك.

لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾، وقال ابن عباس: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ ؟

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

هذا تعليم من الله عزَّ وجلَّ لرسول الله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عزَّ وجلَّ أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن يبينه له ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه، ولهذا قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ أي بالقرآن كما قال تعالى: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ الآية، ثم قال تعالى: ﴿إن علينا جمعه﴾ أي في صدرك، ﴿وقرآنه﴾ أي أن تقرأه، ﴿فإذا قرأناه﴾ أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى ﴿فاتبع قرآنه﴾ أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا. عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾ قال: جمعه في صدرك، ثم تقرأه ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ أي فاستمع له وأنصت، ﴿ثم إنَّ علينا بيانه﴾ فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه»[1]. وفي رواية للبخاري: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عزَّ وجلَّ، وروى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه، يتلقى أوله ويحرك به شفتيه، خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، فأنزل الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾[2]. وقال ابن عباس: كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه، فقال الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه﴾ أن نجمعه لك ﴿وقرآنه﴾ أن نقرئك فلا تنسى، وقال ابن عباس ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ تبيين حلاله وحرامه، وكذا قال قتادة.

وقوله تعالى: ﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة، أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة، ثم قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة، ﴿إلى ربها ناظرة﴾ أي تراه عياناً، كما رواه البخاري في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عياناً» وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عزَّ وجلَّ في الدار الآخرة، في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟»

---

(١) أخرجه أحمد ورواه البخازي ومسلم بنحوه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

قالوا: لا ، قال: « إنكم ترون ربكم كذلك »(١) . وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر ، فقال: « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا »(٢) ، وفي الصحيحين عن أبي موسى قال، قال رسول الله ﷺ : « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عزَّ وجلَّ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »(٣) . وفي مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة - قال - يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة » ، ثم تلا هذه الآية: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾(٤) ، ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عزَّ وجلَّ في العرصات وفي روضات الجنات ، وروى الإمام أحمد، عن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين »(٥) ، قال الحسن ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ قال: حسنة، ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ قال: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق، وقوله تعالى: ﴿ ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة، قال قتادة: كالحة، وقال السدي: تغير ألوانها، وقال ابن زيد ﴿ باسرة ﴾ أي عابسة ﴿ تظن ﴾ أي تستيقن ﴿ أن يفعل بها فاقرة ﴾ قال مجاهد: داهية، وقال قتادة: شر ، وقال السدي: تستيقن أنها هالكة ، وقال ابن زيد: تظن أن ستدخل النار ، وهذا المقام كقوله تعالى: ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ ، وكقوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية ﴾ وأشباه ذلك من الآيات الكريمة .

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

(١) أخرجه الشيخان .

(٢) أخرجاه في الصحيحين .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) أخرجه أحمد والترمذي .

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار، وما عنده من الأهوال، ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت، فقال تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ إن جعلنا (كلا) رادعة فمعناها: لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به، بل صار ذلك عندك عياناً، وإن جعلناها بمعنى (حقاً) فظاهر أي حقاً إذا بلغت التراقي أي انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي جمع (ترقوة) وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾، ﴿وقيل من راق﴾؟ قال ابن عباس: أي من راق يرقي؟ وقال أبو قلابة؟ أي من طبيب شاف[1]. وعن ابن عباس: ﴿وقيل من راق﴾ قيل: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب[2]؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة، وقال ابن عباس في قوله: ﴿والتفت الساق بالساق﴾ قال: التفت عليه الدنيا والآخرة، وعنه ﴿والتفت الساق بالساق﴾ يقول: آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله، وقال عكرمة: ﴿والتفت الساق بالساق﴾ الأمر العظيم بالأمر العظيم، وقال مجاهد: بلاء ببلاء، وقال الحسن البصري: هما ساقاك إذا التفتا، وكذا قال السدي عن الحسن: هو لفهما في الكفن، وقال الضحّاك: ﴿والتفت الساق بالساق﴾ اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه.

وقوله تعالى: ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ أي المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ردوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أُخرى، كما ورد في حديث البراء الطويل، وقوله جلَّ وعلا: ﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذَّب وتولى﴾ هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه، متولياً عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطناً ولا ظاهراً، ولهذا قال تعالى: ﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى * ثم ذهب إلى أهله يتمطّى﴾ أي جذلان أشراً بطراً، لا همة له ولا عمل، كما قال تعالى: ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾، وقال تعالى: ﴿إنه كان في أهله مسروراً إنه ظن أن لن يحور﴾ أي يرجع، وقال ابن عباس: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطّى﴾ أي يختال، وقال قتادة: يتبختر، قال الله تعالى: ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾ وهذا تهديد ووعيد من الله تعالى للكافر، المتبختر في مشيه، أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، وذلك على سبيل التهكم والتهديد، كقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾، وكقوله تعالى: ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون﴾ وكقوله جلَّ جلاله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ إلى غير ذلك، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾؟ قال: قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل، ثم أنزله الله عزَّ وجلَّ[3]. وقال قتادة في قوله: ﴿أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى﴾ وعيد على أثر وعيد كما تسمعون، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبيُّ الله ﷺ بمجامع ثيابه ثم قال: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى»، فقال عدو الله أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً، وإني لأعز من مشى بين جبليها[4].

(١) وكذا قال قتادة والضحّاك وابن زيد.
(٢) ذكره ابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٣) أخرجه النسائي.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ ؟ قال السدي: يعني لا يبعث ، وقال مجاهد: يعني لا يؤمر ولا ينهى ، والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد، ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداءة ﴿ ألم يك نطفــة من مني يمنى ﴾ أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين ﴿ يمنى ﴾ أي يراق من الأصلاب في الأرحام ﴿ ثم كان علقة فخلق فسوّى ﴾ أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً آخر سوياً، سليم الأعضاء ذكراً أو أُنثى بإذن الله وتقديره: ولهذا قال تعالى: ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ؟ أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة، بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟ كقوله تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾، روى أبو داوود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ فانتهى إلى قوله ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ فليقل: بلى، ومن قرأ: ﴿ والمرسلات ﴾ فبلغ ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ ؟ فليقل: آمنا بالله »[1]. وعن قتادة قوله تعالى: ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال: « سبحانك وبلى »[2]. وكان ابن عباس إذا مر بهذه الآية: ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ؟ قال: سبحانك فبلى[3].

[آخر تفسير سورة القيامة ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه أبو داود وأحمد ، ورواه الترمذي بنحوه .

(٢) أخرجه ابن جرير .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٧٦) سورة الإنسان مدنية وآياتها إحدى وثلاثون

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة و ﴿هل أتى على الإنسان﴾[1] ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه، فقال تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟﴾ ثم بيّن ذلك فقال جلَّ جلاله: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ أي أخلاط، والمشج والمشيج، الشيء المختلط بعضه في بعض، قال ابن عباس: يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، وقال عكرمة ومجاهد: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، وقوله تعالى: ﴿نبتليه﴾ أي نختبره كقوله جلَّ جلاله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾، ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ أي جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية، وقوله جلّ وعلا: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جلَّ وعلا: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾، وكقوله جلَّ وعلا: ﴿وهديناه النجدين﴾ أي بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة ومجاهد والجمهور، وروي عن الضحّاك والسدي ﴿إنا هديناه السبيل﴾ يعني خروجه من الرحم، وهذا قول غريب، والصحيح المشهور الأول، وقوله تعالى: ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ منصوب على الحال من الهاء في قوله: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ تقديره: فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد، كما جاء في الحديث الصحيح: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها»[2]، وقد تقدم من رواية جابر بن عبد الله رضي الله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري.

تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً »[١]، وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته »[٢]

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه، من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب، والحريق في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون﴾، ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة، قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل، ولهذا قال: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ أي هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور، هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها، قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور، وقال بعضهم: هو من عين كافور، وقوله تعالى: ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم، والتفجير هو الانباع، كما قال تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾، وقال: ﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ وقال مجاهد: ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ يقودونها حيث شاءوا، وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا، وقوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ أي يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر، وفي الحديث: « من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه »[٣]، ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي يكون ﴿شره مستطيراً﴾ أي منتشراً عاماً على

(١) أخرجه أحمد، وقد تقدم في سورة الروم.
(٢) أخرجه الإمام أحمد.
(٣) أخرجه البخاري من حديث مالك.

الناس إلا من رحم الله، قال ابن عباس: فاشياً، وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ قيل: على حب الله تعالى لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد ومقاتل، واختاره ابن جرير كقوله تعالى: ﴿ وآتى المال على حبه ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾، وروى البيهقي عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنباً أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية يعني امرأته فاشترت عنقوداً بدرهم، فاتبع الرسول سائل، فلما دخل به قال السائل: السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه(١)، وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر» أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما، وأما الأسير فقال الحسن والضحّاك: الأسير من أهل القبلة، وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين، يشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، وقال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك، وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء حتى كان آخر ما أوصى به أن جعل يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» قال مجاهد: هو المحبوس، أي يطعمون الطعام لهؤلاء، وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال: ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس، قال مجاهد: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به، ليرغب في ذلك راغب ﴿ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ﴾ أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير، قال ابن عباس ﴿ عبوساً ﴾ ضيقاً ﴿ قمطريراً ﴾ طويلاً، وقال عكرمة: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، وقال مجاهد: ﴿ عبوساً ﴾ العابس الشفتين، ﴿ قمطريراً ﴾ قال: يقبض الوجه بالبسور، وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿ قمطريراً ﴾ تقلص الجبين وما بين العينين من الهول، وقال ابن زيد: العبوس الشر، والقمطرير الشديد، وقال ابن جرير: والقمطرير هو الشديد، يقال: هو يوم قمطرير ويوم قماطر، ويوم عصيب وعصبصب.

قال الله تعالى: ﴿ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ﴾ وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ﴾ أي آمنهم مما خافوا منه، ﴿ ولقاهم نضرة ﴾ أي في وجوههم، ﴿ وسروراً ﴾ أي في قلوبهم وهذه كقوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة ﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه. قال كعب ابن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر، وقالت عائشة رضي الله عنها: «دخل عليّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه» الحديث. وقوله تعالى: ﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾ أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم ﴿ جنة وحريراً ﴾ أي منزلاً رحباً، وعيشاً رغداً، ولباساً حسناً.

---

(١) أخرجه البيهقي عن نافع وفيه أنها أرسلت بدرهم آخر فاشترت به فأعطاه للسائل ثم بدرهم ثالث.

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا
تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا
تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾
عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ
لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات، وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال، وقوله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ أي ليس عندهم حرّ مزعج، ولا برد مؤلم، ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ أي قريبة إليهم أغصانها، ﴿وذلّلت قطوفها تذليلاً﴾ أي متى تعاطاه دنا القطف إليه، تدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع، كما قال تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾ قال مجاهد: إن قام ارتفعت معه بقدر، وإن قعد تذلّلت له حتى ينالها، وإن اضطجع تذلّلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى: ﴿تذليلاً﴾، وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، وقوله جلّت عظمته: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فضة، وأكواب الشراب وهي التي لا عرى لها ولا خراطيم، وقوله: ﴿قوارير من فضة﴾ فالأول منصوب بخبر كان، أي كانت قوارير، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز، قال ابن عباس: بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا. قال ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة، وقوله تعالى: ﴿قدروها تقديراً﴾ أي على قدر ريّهم لا تزيد عنه ولا تنقص. بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ري صاحبها، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة، وقال ابن عباس: ﴿قدروها تقديراً﴾ قدرت للكف، وقال الضحّاك: على قدر كف الخادم، وهذا لا ينافي القول الأول، فإنها مقدرة في القدر والري.

وقوله تعالى: ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾ أي ويسقون - يعني الأبرار أيضاً - في هذه الأكواب ﴿كأساً﴾ أي خمراً، ﴿كان مزاجها زنجبيلاً﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم قوله جل وعلا: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾، وقال ههنا: ﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾ أي الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلاً، قال عكرمة، اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها، وقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون * إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ أي يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مخلدون﴾ أي على حالة

واحدة، مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، وقوله تعالى: ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ أي إذا رأيتهم في صباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ﴿حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن، قال قتادة: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه، وقوله جل وعلا: ﴿وإذا رأيت﴾ أي وإذا رأيت يا محمد ﴿ثمَّ﴾ أي هناك يعني في الجنة ونعيمها، وسعتها وارتفاعها، وما فيها من الحبرة والسرور ﴿رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ أي مملكة لله هناك عظيمة، وسلطاناً باهراً، وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: «إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»، وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعاً: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه» فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى؟

وقوله جلَّ جلاله: ﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ أي لباس أهل الجنة فيها الحرير (**السندس**) وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، و (**الاستبرق**) **وهو** ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللباس، ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون فكما قال تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾ ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد، والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذ انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما، فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن، وقوله تعالى: ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾ أي يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾، وكقوله تعالى: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾، وقوله تعالى: ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾ أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم، ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ أي كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره، وأعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره، ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾

أي لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك، بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإن الله يعصمك من الناس، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه، ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾ أي أول النهار وآخره، ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾، كقوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ الآية، وكقوله تعالى: ﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً﴾، ثم قال تعالى منكراً على الكفّار ومن أشبههم حب الدنيا والإقبال عليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم، ﴿إن هؤلاء يحبون العـاجلة ويذرون وراءهم يومـاً ثقيلاً﴾ يعني يوم القيامة، ثم قال تعالى: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾، قال ابن عباس ومجاهد: يعني خلقهم ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدلنا هم فأعدناهم خلقاً جديداً، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة، وقال ابن جرير: ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتِ بآخرين وكان الله على ذلك قديراً﴾، وكقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾، ثم قال تعالى: ﴿إن هذه تذكرة﴾ يعني هـذه السورة تذكرة، ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي طريقاً ومسلكاً، أي من شاء اهتدى بالقرآن، ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الايمان ولا يجر لنفسه نفعاً ﴿إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ أي عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، ولهـذا قال تعالى: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾، ثم قال: ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعـدَّ لهم عذاباً أليماً﴾ أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضل لـه ومن يضلل فلا هادي له.

[آخر تفسير سورة الإنسان، ولله الحمد والمنة]

***

(٧٧) سورة المرسلات مكية وآياتها خمسون

روى البخاري، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى، إذ نزلت عليه: ﴿ والمرسلات ﴾ فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فِيهِ، وإن فاه لرطب بها، إذا وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: « اقتلوها » فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي ﷺ: « وقيت شركم كما وقيتم شرها »(١). وقال الإمام أحمد: ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيدالله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عُرفاً، وعن ابن عباس أن أُمّ الفضل سمعته يقرأ: ﴿ والمرسلات عُرفاً ﴾ فقالت: يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب(٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ﴿ والمرسلات عُرفاً ﴾ قال: هي الملائكة(٣)، وروي عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل. وقال الثوري، عن أبي العبيدين قال: سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفاً، قال: الريح: وكذا قال في: ﴿ العاصفات عصفاً والناشرات نشراً ﴾ إنها الريح، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة، وتوقف ابن جرير في: ﴿ المرسلات عرفاً ﴾ هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف، أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً، أو هي

---

(١) أخرجه البخاري، ورواه مسلم من طريق الأعمش به.

(٢) أخرجاه في الصحيحين من طريق مالك عن الزهري. (٣) وهو قول مسروق وأبي الضحى والسدي والربيع بن أنس.

الرياح إذا هبت شيئاً فشيئاً ؟ وقطع بأن ﴿ العاصفات عصفاً ﴾ الرياح، وتوقف في ﴿ الناشرات نشراً ﴾ هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم، وعن أبي صالح أن ﴿ الناشرات نشراً ﴾ هي المطر ، والأظهر أن ﴿ المرسلات ﴾ هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾، وقال تعالى: ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾ ، وهكذا ﴿ العاصفات ﴾ هي الرياح، يُقال: عصفت الرياح إذا هبت بتصويت، وكذا ﴿ الناشرات ﴾ هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عزَّ وجلَّ. وقوله تعالى: ﴿ فالفارقات فرقاً * فالملقيات ذكراً * عذراً أو نذراً ﴾ يعني الملائكة فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره، وقوله تعالى: ﴿ إنما توعدون لواقع ﴾ هذ هو المقسم عليه أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة، ثم قال تعالى: ﴿ فإذا النجوم طمست ﴾ أي ذهب ضوءها كقوله تعالى: ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾، وقوله: ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ أي فطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها، ﴿ وإذا الجبال نسفت ﴾ أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر ، كقوله تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ﴾ الآية ، وقال تعالى: ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾، وقوله تعالى : ﴿ وإذا الرسل أقتت ﴾ قال ابن عباس : جمعت ، كقوله تعالى: ﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾ وقال مجاهد: ﴿ اقتت ﴾ أجلت، ثم قال تعالى: ﴿ لأي يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين ﴾ يقول تعالى: لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها حتى تقوم الساعة، كما قال تعالى: ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام ﴾ وذلك في يوم الفصل كما قال تعالى: ﴿ ليوم الفصل ﴾ ثم قال تعالى معظماً لشأنه: ﴿ وما أدراك ما يوم الفصل ﴾ ؟ ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي ويل لهم من عذاب الله غداً .

أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾ يعني المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به، ﴿ ثم نتبعهم الآخرين ﴾ أي ممن أشبههم، ولهذا قال تعالى: ﴿ كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين ﴾، ثم قال تعالى ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداءة: ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عزَّ وجلَّ، كما تقدم في سورة يس: « ابن آدم أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه ؟ »[1] ﴿ فجعلناه في قرار

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة .

مكين﴾ يعني جمعناه في الرحم، وهو حافظ لما أودع فيه من الماء، وقوله تعالى: ﴿إلى قَدَرٍ معلوم﴾ يعني إلى مدة معينـة من ستة أشهر أو تسعة أشهر، ولهذا قال تعالى: ﴿فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين﴾، ثم قال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً * أحياء وأمواتاً﴾ قال مجاهد: يكفت الميت فلا يرى منه شيء، وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم، ﴿وجعنا فيها رواسي شامخات﴾ يعني الجبال رسى بها الأرض لئلا تميـد وتضطرب، ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾ أي عذباً زلالاً من السحاب، أو مما أنبعه من عيون الأرض، ﴿ويـل يومئذ للمكذبين﴾ أي ويل لمن تأمل هـذه المخلوقات، الدّالة على عظمة خالقهـا، ثم بعد هـذا يستمر على تكذيبه وكفره.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء أنهم يُقال لهم يوم القيامة ﴿انطلقوا إلى ما كنتم بـه تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ يعني لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب، ﴿لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ أي ظل الدخـان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ﴿ولا يغني من اللهب﴾ يعني ولا يقيهم حرّ اللهب، وقوله تعالى: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾ أي يتطاير الشرر من لهبهـا كالقصر، قال ابن مسعود: كالحصون، وقال ابن عباس ومجاهد: يعني أُصول الشجر ﴿كأنه جمالة صفر﴾ أي كالإبل السود، قـاله مجاهد والحسن واختاره ابن جرير، وعن ابن عباس ﴿جمالة صفر﴾ يعني حبال السفن، وعنه ﴿جمالة صفر﴾: قطع نحاس، عن عبد الرحمن بن عابس: قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إنها ترمى بشرر كالقصر﴾ قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع، وفوق ذلك فنرفعه للبناء، فنسميه القصر ﴿كأنه جمالة صفر﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال[1] ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، ثم قـال تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ أي لا يتكلمون، ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ أي لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قـد قامت عليهم الحجة، ووقع القول عليهم بمـا ظلموا فهم لا ينطقون، وعرصات القيـامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحـالة تارة وعن هذه الحال تارة، ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، وقوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم: ﴿هذا يوم الفصـل جمعناكم والأولين﴾ يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وقوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري.

﴿ فإن كان لكم كيد فكيدون ﴾ ، تهديد شديد ووعيد أكيد أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتنجوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى: ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ . عن عبادة بن الصامت أنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله: ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون ﴾ اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد[1] .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الأسود المنتن، وقوله تعالى: ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا، ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾ أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى: ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل، ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾، وقوله تعالى: ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمرهم أمر تهديد ووعيد، فقال تعالى ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً ﴾ أي مدة قليلة قريبة قصيرة، ﴿ إنكم مجرمون ﴾ أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها، ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾، كما قال تعالى: ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾، وقال تعالى: ﴿ ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴾ أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهـذا قال تعالى: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾، ثم قال تعالى : ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ ؟ أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به ؟ كقوله تعالى: ﴿ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ ؟ روي عن أبي هريرة : « إذا قرأ ﴿ والمرسلات عُرفاً ﴾ فقرأ ﴿ فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ ؟ فليقل آمنت بالله وبما أنزل »[2] .

[آخر تفسير سورة المرسلات . ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٧٨) سُورَةُ النَّبَإِ مكية
وآياتها أربعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها: ﴿عم يتساءلون * عن النبأ العظيم﴾ أي: عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم: يعني الخبر الهائل المفظع الباهر، قال قتادة: النبأ العظيم: البعث بعد الموت، وقال مجاهد: هو القرآن، والأظهر الأول، لقوله: ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ يعني الناس فيه مؤمن به وكافر، ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة: ﴿كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره، فقال: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ أي ممهدة للخلائق ذلولاً لهم، قارة ساكنة ثابتة ﴿والجبال أوتاداً﴾ أي جعلها لها أوتاداً، أرساها بها وثبتها وقررها، حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها، ثم قال تعالى: ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ يعني ذكراً وأنثى، يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك كقوله: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾، وقوله تعالى: ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد، والسعي في المعايش في عرض النهار، ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ أي يغشى الناس بظلامه وسواده، كما قال: ﴿والليل إذا يغشاها﴾، وقال قتادة ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ أي سكناً، وقوله تعال: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ أي جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾ يعني السماوات السبع في اتساعها وارتفاعها، وإحكامها وإتقانها

وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات، ولهـذا قال تعالى: ﴿وجعلنا سراجاً وهاجاً﴾ يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم، وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ قـال ابن عباس: المعصرات: الرياح، تستدر المطر من السحاب، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: من المعصرات أي من السحاب[1]، وقال الفراء: هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد، كما يقال: امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحض، وعن الحسن وقتادة: ﴿من المعصرات﴾ يعني السماوات وهذا قول غريب، والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب، كما قال تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله﴾ أي من بينه، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ماء ثجاجاً﴾ قال مجاهد: ﴿ثجاجاً﴾: منصباً، وقال الثوري: متتابعاً، وقال ابن زيد: كثيراً، قال ابن جرير: ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج، وإنمـا الثج الصب المتتابع، ومنه قول النبي ﷺ: «أفضل الحج العج والثج» يعني صب دماء البدن، **قلت**: وفي حديث المستحاضة: «إنما أثج ثجاً» وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿لنخرج به حبّاً ونباتاً وجنّات ألفافاً﴾ أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ﴿حباً﴾ يدخر للأناسي والأنعام، ﴿ونباتاً﴾ أي خضراً يؤكل رطباً، ﴿وجنات﴾ أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً، ولهذا قال: ﴿وجنات ألفافاً﴾ قال ابن عباس وغيره: ألفافاً مجتمعة، وهذه كقوله تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بمـاء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيـات لقوم يعقلون﴾.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل، وهو (يوم القيامة) أنه مؤقت بأجل معدود، لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عزّ وجلّ، كما قال تعالى: ﴿وما نؤخره إلا لأجل معدود﴾ أنه ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ قال مجاهد: زمراً زمراً. قال ابن جرير: يعني تأتي كل أمة مع رسولها، كقوله تعالى: ﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾ قال البخاري: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: أربعون يوماً، قال: «أبيت»، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس

(١) وهو قول عكرمة والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري، واختاره ابن جرير وهو الأظهر كما قال ابن كثير.

من الإنسان شيء إلا بلي إلا عظماً واحداً، وهو (عجب الذنب) ومنه يركب الخلق يوم القيامة »[١] . ﴿ وفتحت السماء فكانت أبواباً ﴾ أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة، ﴿ وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾، وقال ههنا ﴿ فكانت سراباً ﴾ أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر ، كما قال تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً * لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إن جهنم كانت مرصاداً ﴾ أي مرصدة معدة ﴿ للطاغين ﴾ وهم المردة العصاة المخالفون للرسل ، ﴿ مآباً ﴾ أي مرجعاً ومنقلباً ومصيراً ونزلاء ، وقال الحسن وقتادة : لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار ، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس ، وقوله تعالى : ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ أي ماكثين فيها أحقاباً وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره، فقال ابن جرير ، قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل ؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة، وعن الحسن والسدي: سبعون سنة. وعن عبدالله بن عمرو : الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون[٢] ، وقال بشير بن كعب: ذكر لي أن الحقب الواحد ثلثمائة سنة، اثنا عشر شهراً، كل سنة ثلثمائة وستون يوماً، كل يوم منها كألف سنة . وقال السدي: ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون، وقال خالد بن معدان هذه الآية ، وقوله تعالى: ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ في أهل التوحيد[٣] . قال ابن جرير : والصحيح أنها لا انقضاء لها، كما روي عن سالم : سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى: ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ قال أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، وقال قتادة ، قال الله تعالى : ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ وهو ما لا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده . وقال الربيع بن أنَس: ﴿ لابثين فيها أحقاباً ﴾ لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عزّ وجلّ ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلثمائة وستون يوماً ، كل يوم كألف سنة مما تعدون[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ﴾ أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم، ولا شراباً طيباً يتغذون به، ولهذا قال تعالى: ﴿ إلا حميماً وغساقاً ﴾، وقال أبو العالية: استثنى من البرد الحميم، ومن الشراب الغساق. قال الربيع بن أنَس: فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه. والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه، وقوله تعالى: ﴿ جزاءاً وفاقاً ﴾ أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة، وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا. ثم قال تعالى: ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حساباً ﴾ أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون، ﴿ وكذبوا بآياتنا كذاباً ﴾

---

(١) أخرجه البخاري .
(٢) رواهما ابن أبي حاتم .
(٣) أخرجه ابن جرير .
(٤) أخرجه ابن جرير أيضاً .

أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله ﷺ فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة، وقوله ﴿ كذاباً﴾ أي تكذيباً ، وهو مصدر من غير الفعل، وقوله تعالى: ﴿ وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ أي وقد علمنا أعمال العباد وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وقوله تعالى: ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه وآخر من شكله أزواج، قال قتادة: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ فهم في مزيد من العذاب أبداً .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن السعداء، وما أعد الله تعالى لهم من الكرامة والنعيم المقيم، فقال تعالى: ﴿ إن للمتقين مفازاً﴾ قال ابن عباس متنزهاً، وقال مجاهد: فازوا فنجوا من النار، والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده: ﴿ حدائق﴾ والحدائق البساتين من النخيل وغيرها، ﴿ وأعناباً وكواعب أتراباً﴾ أي وحوراً كواعب، قال ابن عباس ومجاهد ﴿ كواعب﴾ أي نواهد، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين، لأنهن أبكار (عرب أتراب) أي في سن واحد، كما تقدم بيانه في سورة الواقعة، روى ابن أبي حاتم، عن ابن أبي القاسم الدمشقي ، عن أبي أمامة . عن النبي ﷺ أنه قال: « إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله، وأن السحابة لتمر بهم فتناديهم: يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب »(1) . وقوله تعالى: ﴿ وكأساً دهاقاً﴾ قال ابن عباس: مملوءة متتابعة، وقال عكرمة: صافية، وقال مجاهد والحسن ﴿ دهاقاً﴾ الملأى المترعة، وقال سعيد بن جبير: هي المتتابعة، وقوله تعالى: ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً﴾ كقوله: ﴿ لا لغو فيه ولا تأثيم﴾ أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب، بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص، وقوله: ﴿جزاءً من ربك عطاء حساباً﴾ أي هذا الذي ذكرناه، جازاهم الله به بفضله ومنّه وإحسانه ﴿ عطاء حساباً﴾ أي كافياً وافياً سالماً كثيراً ، ومنه حسبي الله ، أي الله كافيٍّ .

رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله تعالى: ﴿ لا يملكون منه خطاباً﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، كقوله

(١) رواه ابن أبي حاتم .

تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾، وكقوله تعالى. ﴿يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾، وقوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون﴾ اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا مـا هو ؟ على أقوال : **أحدها** : ما روي عن ابن عباس انهم أرواح بني آدم . **الثاني** : هم بنو آدم ، قاله الحسن وقتادة . **الثالث** : أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر قاله ابن عباس ومجاهد . **الرابع** : هو جبريل، قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحّاك . **الخامس** أنـه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات، قال ابن عباس: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقاً . والأشبه عندي – والله أعلم – أنهم بنو آدم[1] ، وقوله تعالى: ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ كقوله: ﴿يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾، وكما ثبت في الصحيح: « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل »، وقوله تعالى: ﴿وقال صواباً﴾ أي حقاً، ومن الحق ﴿لا إله إلا الله﴾، كما قاله عكرمة . وقوله تعالى: ﴿ذلك اليوم الحق﴾ أي الكائن لا محالة، ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ أي مرجعاً وطريقاً يهتدي إليه، ومنهجاً يمر به عليه، وقوله تعالى: ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً، لأن كل ما هو آت قريب، ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ أي يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها، قديمها وحديثها كقوله تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾، وكقوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بمـا قدم وأخر﴾، ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود ، وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة قـد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة ، **وقيل**: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور ، حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لهـا : كوني تراباً فتصير تراباً فعند ذلك يقول الكافر ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾ أي كنت حيواناً فأرجع إلى التراب، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور ، وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبدالله بن عمرو وغيرهما .

[آخر تفسير سورة النبأ . ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

(١) الأظهر أن المراد بالروح هنا (جبريل) عليه السلام كما قال سعيد بن جبير والضحّاك ويؤيده قوله تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾، فالروح هو جبريل .

(٧٩) سورة النازعات مكية
وآياتها ست وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ
أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ
أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

﴿ **والنازعات غرْقاً** ﴾ : الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط، وهو قوله: ﴿ والناشطات نشطاً ﴾ قاله ابن عباس وغيره، وعنه ﴿ والنازعات ﴾ : هي أنفس الكفّار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار[١] ، وقال مجاهد ﴿ والنازعات غرقاً ﴾ : الموت . وقال الحسن وقتادة ﴿ والنـازعات غرقـاً * والناشطات نشطاً ﴾ : هي النجوم، والصحيح الأول وعليه الأكثرون . وأما قوله تعالى ﴿ والسابحات سبحاً ﴾ فقال ابن مسعود: هي الملائكة، وقال قتادة: هي النجوم، وقال عطاء: هي السفن، وقوله تعالى ﴿ فالسابقات سبقاً ﴾ : يعني الملائكة، قال الحسن: سبقت إلى الإيمان والتصديق، وقال قتادة: هي النجوم، وقال عطاء: هي الخيل في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿ فالمدبرات أمراً ﴾ قال علي ومجاهد: هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض، يعني بأمر ربها عزَّ وجلَّ، وقوله تعالى: ﴿ يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة ﴾ قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية[٢] ، قال مجاهد: أما الأولى ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ فكقوله جلّت عظمته: ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال ﴾، وأما الثانية وهي الرادفة، كقوله: ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه » فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال: « إذاً يكفيك

---

(١) رواه ابن أبي حاتم .

(٢) وهو قول مجاهد والحسن وقتادة والضحّاك وغيرهم .

الله ما أهمك من دنياك وآخرتك »[١] رواه أحمد والترمذي، ولفظ الترمذي: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وقوله تعالى: ﴿ قلوب يومئذ واجفة﴾ قال ابن عباس: يعني خائفة ﴿ أبصارها خاشعة﴾ أي أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها للملابسة. أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال .

وقوله تعالى: ﴿ يقولون أئنا لمردودون في الحافرة﴾ يعني مشركي قريش، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى ﴿ الحافرة﴾ وهي القبور[٢] وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها، ولهذا قالوا: ﴿ أئذا كنا عظاماً نخرة﴾ وقرئ : ناخرة أي بالية، قال ابن عباس: وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه، ﴿ قالوا تلك إذاً كَرَّةٌ خاسرة﴾ . وعن ابن عباس وقتادة: الحافرة الحياة بعد الموت، وقال ابن زيد: الحافرة النار، وما أكثر أسماءها ! هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة، وأما قولهم: ﴿ تلك إذاً كَرَّةٌ خاسرة﴾ فقال محمد ابن كعب، قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن، قال الله تعالى: ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾ أي فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عزَّ وجلَّ ينظرون، كما قال تعالى: ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ وقال تعالى: ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ وقال تعالى: ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ قال مجاهد: ﴿ فإنما هي زجرة واحدة﴾ صيحة واحدة، وأشد ما يكون الرب عزَّ وجلَّ غضباً على خلقه يوم يبعثهم، قال الحسن البصري: زجرة من الغضب، وقوله تعالى: ﴿ فإذا هم بالساهرة﴾ قال ابن عباس: الساهرة الأرض كلها، وقال عكرمة والحسن: الساهرة وجه الأرض، قال مجاهد: كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها، عن سهل بن سعد الساعدي ﴿ فإذا هم بالساهرة﴾ قال: أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي[٣] . وقال الربيع بن أنس: ﴿ فإذاهم بالساهرة﴾ يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار﴾، ويقول تعالى: ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً * فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾، ويقول تعالى: ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم .

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

---

(١) أخرجه أحمد .

(٢) قاله مجاهد .

(٣) رواه ابن أبي حاتم .

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام، أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك يا محمد وكذب بما جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾، فقوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ أي هل سمعت بخبره ﴿إذ ناداه ربه﴾ أي كلمه نداء ﴿بالواد المقدس﴾ أي المطهر، ﴿طوى﴾ وهو اسم الوادي على الصحيح، فقال له: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ أي تجبر وتمرد وعتا، ﴿فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع، ﴿وأهديك إلى ربك﴾ أي أدلك إلى عبادة ربك ﴿فتخشى﴾ أي فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً، بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير، ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية، ودليلاً واضحاً على صدق ما جاءه به من عند الله، ﴿فكذب وعصى﴾ أي فكذب بالحق، وخالف ما أمره به من الطاعة، ﴿ثم أدبر يسعى﴾ أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة، ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات ﴿فحشر فنادى﴾ أي في قومه، ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ بأربعين سنة، قال الله تعالى: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ أي انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا، ﴿ويوم القيامة بئس الرفد المرفود﴾، كما قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾، وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿نكال الآخرة والأولى﴾ أي الدنيا والآخرة، **وقيل**: المراد بذلك كلمتاه الأولى والثانية، **وقيل**: كفره وعصيانه، والصحيح الأول، وقوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ أي لمن يتعظ وينزجر.

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ
بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه ﴿أأنتم﴾ أيها الناس ﴿أشد خلقاً أم السماء﴾ يعني بل السماء أشد خلقاً منكم كما قال تعالى: ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس﴾، وقوله تعالى: ﴿بناها﴾ فسره بقوله: ﴿رفع سمكها فسواها﴾ أي جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء، وقوله تعالى: ﴿وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾ أي جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً، ونهارها مضيئاً مشرقاً واضحاً، قال ابن عباس: أغطش ليلها أظلمه، ﴿وأخرج ضحاها﴾ أي انار نهارها، وقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ فسّره بقوله تعالى: ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ وقد تقدم في سورة «حم السجدة» أن الأرض خلقت قبل خلق السماء، ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، عن ابن عباس ﴿دحاها﴾ ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾، وقد تقدم تقرير ذلك هنالك، وقوله تعالى: ﴿والجبال أرساها﴾ أي قررها وأثبتها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرؤوف بخلقه الرحيم. وقوله تعالى: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ أي دحا الأرض فأتبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها

وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام، التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار، إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل.

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

يقول تعالى: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ وهو يوم القيامة، قاله ابن عباس سميت بذلك، لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع، كما قال تعالى: ﴿والساعة أدهى وأمر﴾، ﴿يوم يتذكر الإنسان ما سعى﴾ أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله، خيره وشره كما قال تعالى: ﴿يومئذ يتذكر الإنسان وأنّى له الذكرى﴾، ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً، ﴿فأما من طغى﴾ أي تمرد وعتا، ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ أي قدمها على أمر دينه وأخراه، ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾، أي فان مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم، ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردها إلى طاعة مولاها، ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ أي منقلبه ومصيره إلى الجنة الفيحاء، ثم قال تعالى ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾ أي ليس علمها اليك ولا إلى أحد من الخلق، بل مردها ومرجعها إلى الله عزَّ وجلَّ، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين ﴿قل إنما علمها عند الله﴾، وقال ههنا: ﴿إلى ربك منتهاها﴾، ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، وقوله تعالى: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ أي إنما بعثتك لتنذر الناس، وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده أتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك، وقوله تعالى: ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم، قال ابن عباس: أما عشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس، ﴿أو ضحاها﴾ ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار، وقال قتادة: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة.

[آخر تفسير سورة النازعات، ولله الحمد والمنة]

***

(٨٠) سورة عبس مكية وآياتها ثنتان وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ
ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾
بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه. فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك، ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى، ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى ﴾ أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه، ﴿ أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم. ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى ﴾ أي أما الغني فأنت تَعرَّض له لعله يهتدي ﴿ وما عليك ألا يزّكى ﴾ أي ما أنت بمطالب به إذا لم يزك نفسه. ﴿ وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى ﴾ أي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له، ﴿ فأنت عنه تلهّى ﴾ أي تتشاغل. ومن ههنا أمر الله تعالى رسول الله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحداً، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، روى الحافظ أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه في قوله: ﴿ عبس وتولى ﴾ قال: جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ، وهو يكلم (ابيّ بن خلف) فأعرض عنه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى ﴾ فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه[1]،

---

(١) أخرجه الحافظ أبو يعلى.

وعن عائشة قالت: أنزلت ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى رسول الله ﷺ، فجعل يقول أرشدني. قالت: وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين قالت: فجعل النبي ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: «أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، في هذا أنزلت: ﴿عبس وتولى﴾»[1]. وهكذا ذكر غير واحد من السلف والخلف: أنها نزلت في ابن ام مكتوم، والمشهور أن اسمه عبد الله، وقوله تعالى: ﴿كلا إنها تذكرة﴾ أي هذه الوصية بالمساواة بين الناس، في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم، وقال قتادة ﴿كلا إنها تذكرة﴾ يعني القرآن ﴿فمن شاء ذكره﴾ أي فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره، ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه، وقوله تعالى: ﴿في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة﴾ أي هذه السورة أو العظة ﴿في صحف مكرمة﴾ أي معظمة موقرة، ﴿مرفوعة﴾ أي عالية القدرة، ﴿مطهرة﴾ أي من الدنس والزيادة والنقص، وقوله تعالى: ﴿بأيدي سفرة﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هي الملائكة، وقال وهب بن منبه: هم أصحاب محمد ﷺ، وقال قتادة: هم القراء، وقال ابن جرير: والصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني بين الله تعالى وبين خلقه، ومنه السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير، كما قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي ... وما أمشي بغش إن مشيت

وقال البخاري: سفرة: الملائكة، سفرتُ أصلحت بينهم، وجُعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم، وقوله تعالى: ﴿كرام بررة﴾ أي خَلْقهم كريم، وأخلاقهم بارة طاهرة، وفي الصحيح: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر بـه مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران»[2].

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢)﴾

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾، قال ابن عباس: لعن الإنسان، وهذا الجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه ﴿ما أكفره﴾ أي ما أشد كفره، وقال ابن جرير: ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافراً أي ما حمله على التكذيب بالمعاد؟ وقال قتادة: ﴿ما أكفره﴾ ما ألعنه، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير، وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى: ﴿من أي شيء خلقه؟ من نطفة خلقه فقدره﴾ أي قدّر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد ﴿ثم السبيل يسره﴾ قال ابن عباس: ثم يسر

(١) أخرجه ابن جرير وأبو يعلى.

(٢) أخرجه الجماعة عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

عليه خروجه من بطن أمه[1] ، وقال مجاهد: هذه كقوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ أي بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه، وهذا هو الأرجح والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أي أنه بعد خلقه له ﴿أماته فأقبره﴾ أي جعله ذا قبر ، والعرب تقول قبرت الرجل إذا ولي ذلك منه . وأقبره الله، وطردت عني فلاناً وأطرده الله، أي جعله طريداً، وقوله تعالى: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أي بعثه بعد موته، ومنه يقال البعث والنشور، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: « يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه » ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال: « مثل حبة خردل منه تنشأون »[2] وهذا الحديث ثابت في الصحيحين بدون هذه الزيادة ، ولفظه: « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب »[3] ، وقوله تعالى: ﴿كلا لما يقض ما أمره﴾ قال ابن جرير : يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله، ﴿لمّا يقض ما أمره﴾ يقول: لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض لربه عزّ وجلّ، عن مجاهد قال : لا يقضي أحد أبداً كل ما افترض عليه .

وقوله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة ، على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاماً بالية وتراباً متمزقاً ، ﴿أنا صببنا الماء صباً﴾ أي أنزلناه من السماء على الأرض، ﴿ثم شققنا الأرض شقاً﴾ أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض، ﴿فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً﴾، فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها القت أيضاً . قال ذلك ابن عباس وقتادة، وقال الحسن البصري: القضب العلف، ﴿وزيتوناً﴾ وهو معروف، وهو أدم وعصيره أدم، ويستصبح به ويدهن به، ﴿ونخلاً﴾ يؤكل بلحاً وبسراً، ورطباً وتمراً، ونيئاً ومطبوخاً، ويعتصر منه رب وخل . ﴿وحدائق غلباً﴾ أي بساتين، قال الحسن وقتادة: غلباً نخل غلاظ كرام، وقال ابن عباس ومجاهد: كل ما التف واجتمع ، وقال ابن عباس أيضاً ﴿غلباً﴾ الشجر الذي يستظل به ، وقال عكرمة: ﴿غلباً﴾ أي غلاظ الأوساط ، وقوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبا﴾ أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار، قال ابن عباس: الفاكهة كل ما أكل رطباً، والأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم، وقال مجاهد: الأب الكلأ، وعن مجاهد والحسن: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب، وقال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب . وقال العوفي، عن ابن عباس: الأب: الكلأ والمرعى . روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ ﴿عبس وتولى﴾ فلما أتى على هذه الآية: ﴿وفاكهة وأباً﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة فما الأب ؟ فقال لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف[4] . وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه،

(١) وهو قول عكرمة والضحّاك وقتادة والسدي واختاره ابن جرير .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٣) أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة .

(٤) رواه ابن جرير ، وإسناده صحيح كما قال ابن كثير .

وإلا فهو يعلم أنه من نبات الأرض لقوله : ﴿ فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار ، إلى يوم القيامة .

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾

قال ابن عباس : ﴿ الصَّاخَّةُ ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله وحذّره عباده ، وقال البغوي : ﴿ الصاخة ﴾ يعني يوم القيامة ، سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع ، أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها ، ﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأُمّه وبنيه * وصاحبته وبنيه ﴾ أي يراهم ويفر منهم ؛ لأن الهول عظيم ، والخطب جليل ، قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه أي بعل كنت لكِ ؟ فتقول : نعم البعل كنت ، وتثني بخير ما استطاعت ، فيقول لها : فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو مما ترين ، فتقول له : ما أيسر ما طلبت ، ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخاف ، قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيعلق به فيقول : يا بني أي والد كنت لك ؟ فيثني بخير ، فيقول له : يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى فيقول ولده : يا أبتِ ما أيسر ما طلبت ، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف ، فلا أستطيع أن أُعطيك شيئاً ، يقول الله تعالى : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأُمّه وأبيه * وصاحبته وبنيه ﴾ وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة : حتى عيسى ابن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدتني ، عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ : « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً » قال ، فقالت زوجته : يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض قال : « لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه » أو قال : « ما أشغله عن النظر »(١) . وروى النسائي عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه »(٢) . وعن أنَس بن مالك قال : سألت عائشة رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي ، إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به ، قال : « إن كان عندي منه علم » قالت يا نبي الله كيف يحشر الرجال ؟ قال : « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة ، فقالت : يا رسول الله كيف يحشر النساء ؟ قال : « كذلك حفاة عراة » ، قالت : واسوأتاه من يوم القيامة ، قال : « وعن أي ذلك تسألين إنه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون » ، قالت : أية آية هي يا نبي الله ؟ قال : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه »(٣) ، وقال البغوي في تفسيره . عن سودة زوج النبي ﷺ قالت ، قال رسول الله ﷺ : « يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان » ، فقلت : يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال : قد شغل

---

(١) اخرجه ابن ابن حاتم .

(٢) انفرد به النسائي من هذه الوجه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

الناس ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾[1] . وقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾ أي يكون الناس هنالك فريقين، وجوه مسفرة أي مستنيرة﴿ ضاحكة مستبشرة﴾ أي مسرورة فرحة، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء هم أهل الجنة، ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة ۝ ترهقها قترة﴾ أي يعلوها وتغشاها ﴿قترة﴾ أي سواد، وفي الحديث: «يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم»، فهو قوله تعالى: ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾[2] ، وقال ابن عباس ﴿ترهقها قترة﴾ أي يغشاها سواد الوجوه، وقوله تعالى: ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ أي الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ .

[آخر تفسير سورة عبس ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) حديث غريب من هذا الوجه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٨١) سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون

قال رسول الله ﷺ: « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ و ﴿إذا السماء انفطرت﴾ و ﴿إذا السماء انشقت﴾ » أخرجه أحمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾
بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾
وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قال ابن عباس: ﴿إذا الشمس كورت﴾ يعني أظلمت، وقال العوفي عنه: ذهبت، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت، وقال قتادة: ذهب ضوءها، وقال سعيد بن جبير: ﴿كورت﴾ غورت، وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض، قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كورت﴾ جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها، روي عن ابن عباس أنه قال: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحاً دبوراً فتضرمها ناراً[1]، وروى البخاري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة »[2]. وقوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أي انتثرت كما قال تعالى: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾. وأصل الانكدار الانصباب، قال أبي بن كعب: ست آيات قبل يوم القيامة،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق.

بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واختلطت، ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحوش، فماجوا بعضهم في بعض، ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ قال: اختلطت، ﴿وإذا العشار عطلت﴾ قال: أهملها أهلها، ﴿وإذ البحار سجرت﴾ قال، قالت الجن: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحر، فإذا هو نار تتأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم[1]. وقال ابن عباس: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أي تغيرت، وعن يزيد بن أبي مريم مرفوعاً: «انكدرت في جهنم، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم، إلا ما كان من عيسى وأمه، ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها»[2].

وقوله تعالى: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صفصفاً، وقوله: ﴿وإذا العشار عطلت﴾ عشار الإبل، قال مجاهد: ﴿عطلت﴾ تركت وسيّبت، وقال أُبيّ بن كعب: أهملها أهلها، وقال الربيع بن خيثم: لم تحلب وتخلى عنها أربابها، والمعنى في هذا كله متقارب، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها، واحدتها عشراء قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بما دهمهم من الأمر العظيم الهائل، وهو أمر يوم القيامة ووقوع مقدماتها، **وقيل**: بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها، كذلك لا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار: إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا، والراجح أنها الإبل، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ أي جمعت كما قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ قال ابن عباس: يحشر كل شيء حتى الذباب، وقال عكرمة: حشرها موتها، وعن ابن عباس قال: حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس[3]. وعن الربيع بن خيثم ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ قال: أتى عليها أمر الله، وعن أُبيّ بن كعب أنه قال: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ اختلطت، قال ابن جرير: والأولى قول من قال حشرت جمعت، قال الله تعالى: ﴿والطير محشورة﴾ أي مجموعة، وقوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ قال ابن عباس: يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تأجج، وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» الحديث، وقال مجاهد ﴿سجرت﴾: أوقدت، وقال الحسن: يبست، وقال الضحّاك وقتادة: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة، وقال الضحّاك أيضاً: ﴿سجرت﴾ فجّرت، وقال السدي: فتحت وصيرت، وقوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوّجت﴾ أي جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله. روى النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ فقال: تزوجها

---

(١) أخرجه ابن جرير.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير.

أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم، يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الأنفس[١]، وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة، وقال مجاهد: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال: الأمثال من الناس جمع بينهم، واختاره ابن جرير، وقال الحسن البصري وعكرمة: زوجت الأرواح بالأبدان، **وقيل**: زوج المؤمنون بالحور العين، وزوج الكافرون بالشياطين[٢].

وقوله تعالى: ﴿وإذا الموءُودة سئلت * بأي ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ الموءودة هي التي كانت أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءُودة على أي ذنت قُتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً؟ وقال ابن عباس: ﴿وإذا الموءُودة سئلت﴾ أي سألت أي طالبت بدمها. وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءُودة فقال الإمام أحمد عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في ناس وهو يقول: لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم، ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً »، ثم سألوه عن العزل؟ فقال رسول الله ﷺ: « ذلك الوأد الخفي وهو الموءُودة سئلت »[٣]. وروى الإمام أحمد عن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم، وتقري الضيف، وتفعل، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: « لا »، قلنا: فإنها كانت وأدت أُختاً لنـا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: « الوائدة والموءُودة في النار، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها »[٤]. وفي الحديث: « النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والموءُودة في الجنة »[٥]. وعن قرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل، يا رسول الله مَن في الجنة؟ قال: « الموءُودة في الجنة »[٦]. وقال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله تعالى: ﴿وإذا الموءُودة سئلت * بأي ذنب قتلت﴾، قال ابن عباس: هي المدفونة، وقال عبد الرزاق: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية، قال: « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال: يا رسول الله إني صاحب إبل، قال فانحر عن كل واحدة منهن بدنة »[٧] وقوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ قال الضحّاك: أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله، وقال قتادة: يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى، ثم تنشر عليك يوم القيامة، فلينظر رجل ماذا يملي في صحيفته، قوله تعالى: ﴿وإذا السماء كشطت﴾ قال مجاهد: اجتذبت؛ وقال السدي: كشفت؛ وقال الضحّاك: تنكشط فتذهب، وقوله تعالى: ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) حكاه القرطبي في التذكرة.

(٣) أخرجه أحمد ورواه مسلم وأبو داود والترمذي بنحوه.

(٤) أخرجه أحمد والنسائي.

(٥) أخرجه أحمد من حديث خنساء بنت معاوية الصريمية عن عمهـا قال، قلت: يا رسول الله من في الجنة؟ فقال الحديث.

(٦) هذا من مراسيل الحسن ومنهم من قبله.

(٧) أخرجه عبد الرزاق والحافظ البزار بنحوه عن عمر بن الخطاب.

السدي: أحميت، وقال قتادة: أوقدت، قال: وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم، وقوله تعالى: ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ قال الضحّاك: أي قربت إلى أهلها، وقوله تعالى: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت، وأحضر ذلك لها كما قال تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾، وقال تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾. عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال عمر: لما بلغ ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال: لهذا أجري الحديث.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم
بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿**فلا أقسم بالخنَّس * الجوار الكنَّس**﴾ قال علي: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل. وروى ابن جرير عن خالد بن عرعرة سمعت علياً، وسئل عن ﴿لا أُقسم بالخنس * الجوار الكنس﴾ فقال: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل[1]، وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن: أنها النجوم، وقال بعض الأئمة: إنما قيل للنجوم الخنس، أي في حال طلوعها، ثم هي جوار في فلكها، وفي حال غيبوبتها يقال لها كنّس، من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه، إذا تغيب فيه، وروى الأعمش عن عبدالله ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ قال: بقر الوحش، وقال ابن عباس ﴿الجوار الكنس﴾ البقر تكنس إلى الظل، وقال العوفي عن ابن عباس: هي الظباء[2]، وقال أبو الشعثاء: هي الظباء والبقر، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله: ﴿الخنس الجوار الكنس﴾ هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مراداً، وقوله تعالى: ﴿والليل إذا عسعس﴾ فيه قولان (**أحدهما**): إقباله بظلامه، قال مجاهد: أظلم: وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ، وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس، (**والثاني**): إدباره، قال ابن عباس: ﴿إذا عسعس﴾ إذا أدبر، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحّاك ﴿إذا عسعس﴾ أي إذا ذهب فتولى، وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إذا عسعس﴾ إذا أدبر، قال: لقوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أي أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضاً:

حتى إذا الصبح له تنفسا   وانجاب عنها ليلها وعسعسا

---

(١) أخرجه ابن جرير.
(٢) وكذا قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك.

أي أدبر، وعندي أن المراد بقوله: ﴿إذا عسعس﴾ إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً، لكن الإقبال ههنا أنسب، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قال تعالى: ﴿والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى﴾، وقال تعالى: ﴿والضحى * والليل إذا سجى﴾، وقال تعالى: ﴿فالق الاصباح وجعل الليل سكناً﴾ وغير ذلك من الآيات، وقوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ قال الضحّاك: إذا طلع، وقال قتادة: إذا أضاء وأقبل، وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ، وقال ابن جرير: يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبيّن.

وقوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ يعني إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر، وهو (جبريل) عليه الصلاة والسلام، ﴿ذي قوة﴾ كقوله تعالى: ﴿علمه شديد القوى * ذو مرة﴾ أي شديد الخلق شديد البطش والفعل، ﴿عند ذي العرش مكين﴾ أي له مكانة عند الله عزّ وجلّ ومنزلة رفيعة، ﴿مطاع ثَمّ﴾ أي له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى، قال قتادة: ﴿مطاع ثم﴾ أي في السماوات، يعني ليس هو من أفناد[1] الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة، وقوله تعالى: ﴿أمين﴾ صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً، أن الرب عزّ وجلّ يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ قال الشعبي وميمون: المراد بقوله ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ يعني محمداً ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ يعني ولقد رأى محمد (جبريل)، الذي يأتيه بالرسالة عن الله عزّ وجلّ، على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ﴿بالأفق المبين﴾ أي البين، وهي الرؤية الأولى كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى﴾، والظاهر أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أُخْرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء، وقوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾ أي بمتهم، ومنهم من قرأ ذلك بالضاد، أي ببخيل بل يبذله لكل أحد. قال سفيان بن عيينة: (ظنين) و (ضنين) سواء، أي ما هو بفاجر، و (الظنين) المتهم، و (الضنين) البخيل، وقال قتادة: كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد، فما ضنّ به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده، واختار ابن جرير قراءة الضاد. (**قلت**): وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدَّم، وقوله تعالى: ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له، كما قال تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾. وقوله تعالى: ﴿فأين تذهبون﴾؟ فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله عزّ وجل! كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الكذّاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال: ويحكم أين تذهب عقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل» أي من إلّه، وقال قتادة: ﴿فأين تذهبون﴾ أي عن كتاب الله

(١) أفناد: جماعات.

وعن طاعته، وقوله تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعـالمين﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون بـه ويتعظون ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ أي لمن أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه، ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أي ليست المشيئة موكولة إليكم، بـل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين، قال سفيان الثوري: لمـا نزلت هذه الآية: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

[آخر تفسير سورة التكوير، ولله الحمد والمنة]

* * *

(٨٢) سورة الانفطار مكية
وآياتها تسع عشرة

قد تقدم من رواية عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال: « من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين فليقرأ: ﴿ إذا الشمس كورت ﴾، و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾، و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ».

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى: ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ أي أنشقت، كما قال تعالى: ﴿ السماء منفطر به ﴾، ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ أي تساقطت، ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ قال ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض، وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها، وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها، وقال الكلبي: ملئت. ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ قال ابن عباس: بحثت. وقال السدي: تبعثر – تحرك فيخرج من فيها، ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ أي إذا كان هذا حصل هذا، وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾؟ هذا تهديد من الله للإنسان[1] والمعنى: ما غرك يا ابن آدم ﴿ بربك الكريم ﴾ أي العظيم، حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: « يقول الله تعالى يوم القيامة: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين »؟ وعن يحيى البكاء قال: سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ قال ابن عمر: غره والله جهله، وقال قتادة: ما غرّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان، وقال الفضل

---

(١) الكلام تهديد كما قال ابن كثير، وليس كما زعم بعضهم أنه إرشاد إلى الجواب حتى قالوا:

ابن عياض: لو قال لي: ما غرّك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة، وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟ لقلت: غرني كرم الكريم، وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه لقنه الإجابة، وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل، لأنه إنما أتى باسمه الكريم، لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور، وقوله تعالى: ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ أي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة، منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال، روى الإمام أحمد عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه، فوضع عليها إصبعه ثم قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: يا ابن آدم أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي: قلت: أتصدق وأنّى أوان الصدقة؟»(١) .

وقوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم، أو خال أو عم، وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير، وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار، وإن شاء في صورة خنزير، وقال قتادة: قادر والله ربنا على ذلك، ومعنى هذا القول عندهم أن الله عزَّ وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح، من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه، يخلقه على شكل حسن مستقيم، معتدل تام حسن المنظر والهيئة. وقوله تعالى: ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي، تكذيب قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب، وقوله تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون﴾ يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً، فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم، عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم عن التعري، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره» . وفي الحديث: «ما من حافظين يرفعان إلى الله عزَّ وجلَّ ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة، وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى: قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة»(٢) ، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يعرفون بني آدم – وأحسبه قال ويعرفون أعمالهم – فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه، وقالوا: أفلح الليلة فلان، نجا الليلة فلان، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: هلك الليلة فلان»(٣) .

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجة .

(٢) أخرجه الحافظ البزار عن أنس بن مالك مرفوعاً . (٣) أخرجه البزار أيضاً وفي سنده سلام المدائني ليّن الحديث .

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله عزَّ وجلَّ ولم يقابلوه بالمعاصي، ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم، ولهذا قال: ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ أي يوم الحساب والجزاء والقيامة، ﴿ وما هم عنها بغائبين ﴾ أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً، وقوله تعالى: ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة، ثم أكده بقوله تعالى: ﴿ ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾، ثم فسره بقوله: ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾ أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وفي الحديث قال عليه السلام: « يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً »، ولهذا قال: ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ كقوله تعالى: ﴿ لمن الملك اليوم * لله الواحد القهار ﴾ قال قتادة: ﴿ يوم لا تملك نفس لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ والأمر والله اليوم لله، لكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد.

[آخر تفسير سورة الإنفطار، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

(٨٣) سورة المطففين مكية
وآياتها ست وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾
أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ فحسنوا الكيل بعد ذلك[1]، وروى ابن جرير، عن عبد الله قال، قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل، وقد قال الله تعالى: ﴿ويل للمطففين - حتى بلغ - يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾[2]، والمراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما النقصان إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك بقوله تعالى: ﴿إذا اكتالوا على الناس﴾ أي من الناس ﴿يستوفون﴾ أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد، ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ أي ينقصون، والأحسن أن يجعل «كالوا ووزنوا» متعدياً ويكون (هم) في محل نصب. وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾، وقال تعالى: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾، وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال، ثم قال تعالى متوعداً لهم: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم﴾؟ أي ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر، في يوم عظيم الهول، كثير الفزع جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية؟ وقوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ أي يقومون حفاة عراة، في موقف صعب حرج، ضيق على المجرم، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين» حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»[3]، وفي رواية لأحمد عن النبي

---

(١) أخرجه النسائي وابن ماجة.

(٢) رواه ابن جرير.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والإمام مالك.

ﷺ قال: « يوم يقوم الناس لرب العالمين، لعظمة الرحمن عزَّ وجلَّ يوم القيامة، حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم[١] . **حديث آخر** : وروى الإمام أحمد عن المقداد بن الأسود الكِنْدي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً »[٢] . **حديث آخر** : روى الإمام أحمد، عن عقبة بن عامر قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه - رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه » وضرب بيده، إشارة[٣] ، وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة ، وعن ابن مسعود: يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى حقاً: ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ أي ان مصيرهم ومأواهم ﴿لفي سجين﴾ فعّيل من السجن، وهو الضيق كما يقال: فسّيق وخمّير وسكّير ونحو ذلك، ولهذا عظّم أمره فقال تعالى: ﴿ما أدراك ما سجّين﴾ ؟ أي هو أمر عظيم، وسجين مقيم، وعذاب أليم، ثم قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب يقول الله عزَّ وجلَّ في روح الكافر « اكتبوا كتابه في سجين »، وقيل: بئر في جهنم، والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين، كما قال تعالى: ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ وقال ههنا: ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين ﴾ وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى: ﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ كتاب مرقوم ﴾ ليس تفسيراً لقوله: ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد، ثم قال تعالى: ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) رواه مسلم والترمذي وأحمد .

(٣) أخرجه الإمام أحمد .

السجن والعذاب المهين، ﴿ ويل ﴾ لهم والمراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال: ويل لفلان، ثم قال تعالى: مفسراً للمكذبين الفجّار الكفرة: ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ أي لا يصدقون بوقوعه، ولا يعتقدون كونه، ويستبعدون أمره، قال الله تعالى: ﴿ وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ﴾ أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام، والمجاوزة في تناول المباح، والأثيم في أقواله إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر.

وقوله تعالى: ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به، ويظن به ظن السوء، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا أساطير الأولين ﴾، وقال تعالى: ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ قال الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به، ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم، من كثرة الذنوب والخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ والرين يعتري قلوب الكافرين، والغَيْن للمقربين، وقد روى الترمذي والنسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ »[1] ولفظ النسائي: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فهو الران الذي قال الله تعالى: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ »[2]. وقال الحسن البصري: هو الذنب حتى يعمى القلب فيموت[3]، وقوله تعالى: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ أي ثم هم يوم القيامة محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم، قال الإمام الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عزَّ وجلَّ يومئذ، وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾، وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة، في رؤية المؤمنين ربهم عزَّ وجلَّ في الدار الآخرة، قال الحسن: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون، وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية، وقوله تعالى: ﴿ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن، من أهل النيران، ﴿ ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ أي يقال لهم ذلك، على وجه التقريع والتوبيخ، والتصغير والتحقير.

كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾
إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن
رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

(١) أخرجه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) هذا لفظ النسائي وقد رواه أحمد بنحوه.

(٣) وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد.

يقول تعالى: حقاً إن كتاب الإبرار - وهم بخلاف الفجار - ﴿لفي عليين﴾ أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين، روى الأعمش عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً - وأنا حاضر - عن سجين؟ قال: هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، وسأله عن عليين؟ فقال: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين[١]، وقال ابن عباس: ﴿لفي عليين﴾ يعني الجنة، وفي رواية عنه: أعمالهم في السماء عند الله، وقال قتادة: عليون ساق العرش اليمنى، وقال غيره: عليون عند سدرة المنتهى، والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال تعالى معظماً أمره ومفخماً شأنه: ﴿وما أدراك ما عليّون﴾؟ ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم: ﴿كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾ وهم الملائكة قاله قتادة، وقال ابن عباس: يشهده من كل سماء مقربوها، ثم قال تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم، وجنات فيها فضل عميم ﴿على الأرائك﴾ وهي السرر تحت الحجال ﴿ينظرون﴾ قيل: معناه ينظرون في ملكهم، وما أعطاهم الله من الخير، والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد، وقيل: معناه ﴿على الأرائك ينظرون﴾ إلى الله عزَّ وجلَّ، كما تقدم في حديث ابن عمر: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عزَّ وجلَّ في اليوم مرتين». وقوله تعالى: ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم ﴿نضرة النعيم﴾ أي صفة الترافة والسرور، والدعة والرياسة، مما هم فيه من النعيم العظيم. وقوله تعالى: ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ أي يسقون من خمر من الجنة، والرحيق من أسماء الخمر[٢]، وفي الحديث: «أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة ماء على ظمإٍ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة»[٣]، وقال ابن مسعود في قوله: ﴿ختامه مسك﴾ أي خلطه مسك، وقال ابن عباس: طيب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك، وقال الحسن: عاقبته مسك، وقال ابن جرير، عن أبي الدرداء: ﴿ختامه مسك﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها[٤]، وقال مجاهد: ﴿ختامه مسك﴾ طيبه مسك، وقوله تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون، وليتباهى وليستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾، وقوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ أي مزاج هذا الرحيق الموصوف ﴿من تسنيم﴾ أي من شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، ولهذا قال: ﴿عيناً يشرب بها المقربون﴾ أي يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً[٥].

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا

(١) وهكذا قال غير واحد من السلف أنها السماء السابعة.

(٢) وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة.

(٣) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

(٤) أخرجه ابن جرير.

(٥) قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم.

ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

يخبر تعالى عن المجرمين، أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين، أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ إي وإذا انقلب: أي رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين، أي مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ أي لكونهم على غير دينهم، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ أي وما بعث هؤلاء المجرمون، حافظين على هؤلاء المؤمنين، ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم، ولا كلفوا بهم، فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم؟ كما قال تعالى: ﴿إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿فاليوم﴾ يعني يوم القيامة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ﴿على الأرائك ينظرون﴾ أي إلى الله عزَّ وجلَّ، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته، وقوله تعالى: ﴿هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون﴾؟ أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين، من الاستهزاء والسخرية أم لا؟ يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله.

[آخر تفسير سورة المطففين، ولله الحمد والمنة]

* * *

(٨٤) سورة الانشقاق مكية وآياتها خمس وعشرون

روى البخاري، عن أبي رافع قال: «صلَّيتُ مع أبي هريرة العتمة فقرأ: ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد، فقلت له، فقال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه»(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن
لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ وذلك يوم القيامة، ﴿وأذنت لربها﴾ أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الإنشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿وحُقَّتْ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره، لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء، ثم قال: ﴿وإذا الأرض مدَّت﴾ أي بسطت وفرشت ووسعت، وفي الحديث «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه»(٢). وقوله تعالى: ﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾ أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت عنهم، ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ كما تقدم، وقوله: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً﴾ أي إنك ساع إلى ربك سعياً وعامل عملاً ﴿فملاقيه﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، عن جابر قال، قال رسول الله

(١) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي.
(٢) أخرجه ابن جرير عن علي بن الحسين مرفوعاً.

ﷺ : « قال جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه »[١]، ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ﴿ ربك ﴾ أي فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك، قال ابن عباس: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً، وقال قتادة: ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ﴾ إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله. ثم قال تعالى: ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ أي سهلاً بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة، روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ : « من نوقش الحساب عذب »، قالت، فقلت: أفليس قال الله تعالى: ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾، قال: « ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب »[٢]. وروى ابن جرير، عن عائشة رضي الله عنها قالت؛ قال رسول الله ﷺ : « إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذباً »، فقلت: أليس الله يقول ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ ؟ قال: « ذاك العرض، إنه من نوقش الحساب عذب »، وقال بيده على إصبعه كأنه ينكت[٣]. وفي رواية عن عائشة قالت : « من نوقش الحساب - أو من حوسب - عذب، ثم قالت: إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم »[٤]. وقوله تعالى: ﴿ وينقلب إلى أهله مسروراً ﴾ أي ويرجع إلى أهله في الجنة ﴿ مسروراً ﴾ أي فرحاً مغتبطاً بما أعطاه الله عزَّ وجلَّ، وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال: إنكم تعملون أعمالاً لا تعرف، ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسرور أو مكظوم[٥]. وقوله تعالى: ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ﴾ أي بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه، ويعطى كتابه بها كذلك ﴿ فسوف يدعو ثبوراً ﴾ أي خساراً وهلاكاً ﴿ ويصلى سعيراً * إنه كان في أهله مسروراً ﴾ أي فرحاً لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل، ﴿ إنه ظنَّ ان لن يحور ﴾ أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله، ولا يعيده بعد موته، قال ابن عباس وقتادة وغيرهما، والحَوْر هو الرجوع، قال الله: ﴿ بلى إن ربه كان به بصيراً ﴾ يعني بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فإنه ﴿ كان به بصيراً ﴾ أي علياً خبيراً.

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ ۩ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي.

(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(٣) أخرجه الشيخان وابن جرير.

(٤) رواه ابن جرير.

(٥) أخرجه الطبراني.

قال علي وابن عباس: ﴿الشفق﴾ الحمرة، وقال عبدالرزاق، عن أبي هريرة: ﴿الشفق﴾ البياض، فالشفق هو حمرة الأفق، إما قبل طلوع الشمس، كما قاله مجاهد، وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة، قال الخليل: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق، وفي الحديث: «وقت المغرب ما لم يغب الشفق»[1]، ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ هو النهار كله، وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى: ﴿والليل وما وسق﴾ أي جمع، كأنه أقسم بالضياء والظلام، قال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقبلاً، وقال آخرون: الشفق اسم للحمرة والبياض، وهو من الأضداد. قال ابن عباس ومجاهد: ﴿وما وسق﴾ وما جمع، قال قتادة: وما جمع من نجم ودابة، وقال عكرمة: ما ساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه، وقوله تعالى: ﴿والقمر إذا اتسق﴾ قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى، وقال الحسن: إذا اجتمع وامتلأ، وقال قتادة: إذا استدار، ومعنى كلامهم إنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسق.

وقوله تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ قال البخاري، قال ابن عباس: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ[2]، وقال الشعبي ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ قال: لتركبنّ يا محمد سماء بعد سماء، يعني ليلة الإسراء، وقيل: ﴿طبقاً عن طبق﴾ منزلاً على منزل، ويقال: أمراً بعد أمر، وحالاً بعد حال[3]، وقال السدي: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ أعمال من قبلكم منزلاً بعد منزل، وكأنه أراد معنى الحديث الصحيح: «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». وقال ابن مسعود: ﴿طبقاً عن طبق﴾ السماء مرة كالدهان، ومرة تنشق، وقال سعيد بن جبير ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ قال: قوم كانوا في الدنيا خسيسٌ أمرهم فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافاً في الدنيا فاتضعوا في الآخرة، وقال عكرمة: ﴿طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حال فطيماً بعدما كان رضيعاً، وشيخاً بعد ما كان شاباً، وقال الحسن البصري: ﴿طبقاً عن طبق﴾ يقول: حالاً بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة. ثم قال ابن جرير: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ - جميع الناس، وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً، وقوله تعالى: ﴿فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ أي فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاماً وإكراماً واحتراماً؟ وقوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق، ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ قال مجاهد وقتادة: يكتمون في صدورهم، ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عزَّ وجلَّ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) هي رواية العوفي عن ابن عباس.

قد أعد لهم عذاباً أليماً، وقوله تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ هذا استثناء منقطع يعني لكن الذين آمنوا أي بقلوبهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي بجوارحهم ﴿لهم أجر﴾ أي في الدار الآخرة ﴿غير ممنون﴾ قال ابن عباس: غير منقوص، وقال مجاهد: غير محسوب، وحاصل قولهما: أنه غير مقطوع، كما قال تعالى: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ ، وقال السدي: قال بعضهم: غير ممنون : غير منقوص، وقال بعضهم: غير ممنون عليهم، وهذا القول قد أنكره غير واحد، فإن الله عزَّ وجلَّ له المنة على أهل الجنة، في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائماً سرمداً ، والحمد لله وحده أبداً .

[آخر تفسير سورة الإنشقاق ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

(٨٥) سورة البروج مكية وآياتها ثنتان وعشرون

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾
ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ
إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام، قال ابن عباس: البروج النجوم، وقال يحيى بن رافع: البروج قصور في السماء، وقال المنهال بن عمرو: ﴿والسماء ذات البروج﴾ الخلق الحسن، واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر برجاً تسير الشمس في كل واحد منها شهراً، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين، وقوله تعالى: ﴿واليوم الموعود وشاهد ومشهود﴾ اختلف المفسرون في ذلك فروي عن أبي هريرة مرفوعاً ﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة، ﴿وشاهد﴾ يوم الجمعة، ﴿ومشهود﴾ يوم عرفة[١]. روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿وشاهد ومشهود﴾ قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة[٢]. وعن سعيد بن المسيب أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد، والمشهود يوم عرفة»[٣]. وروى ابن جرير عن ابن عباس قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، والأشبه أنه موقوف على أبي هريرة .
(٢) أخرجه أحمد .
(٣) هذا من مراسيل سعيد بن المسيب .

الشاهد هو محمد ﷺ، والمشهود يوم القيامة. ثم قرأ: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾(١).
وسأل رجل الحسن بن علي عن ﴿وشاهد ومشهود﴾ فقال: سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة، فقال: لا، ولكن الشاهد محمد ﷺ، ثم قرأ: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ والمشهود يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾(٢) وهكذا قال الحسن البصري، وقال مجاهد والضحّاك: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة؛ وعن عكرمة: الشاهد محمد ﷺ، والمشهود يوم الجمعة، وقال ابن عباس: الشاهد الله، والمشهود يوم القيامة، وقال ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس ﴿وشاهد ومشهود﴾ قال: الشاهد الإنسان، والمشهود يوم الجمعة(٣)، وقال ابن جرير، عن ابن عباس: ﴿وشاهد ومشهود﴾ الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم القيامة، قال ابن جرير: وقال آخرون: ﴿المشهود﴾ يوم الجمعة، لحديث أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة»(٤)، وعن سعيد بن جبير: الشاهد الله، وتلا: ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ والمشهود نحن(٥)، وقال الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

وقوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأُخْدُود﴾ أي لعن أصحاب الأُخدود، وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عزّ وجلّ فقهروهم، وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أُخدوداً، وأججوا فيه ناراً، وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين * قال الله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله ﴿العزيز﴾ الذي لا يضام من لاذ بجنابه، ﴿الحميد﴾ في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، ثم قال تعالى: ﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ أي لا يغيب عنه شيء في جميع السماوات والأرض، ولا تخفى عليه خافية، وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم؟ فعن علي أنهم أهل فارس، حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم، فعمد إلى حفر أُخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم. وعن ابن عباس قال: ناس من بني إسرائيل خدوا أُخدوداً في الأرض، ثم أوقدوا فيه ناراً، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء، فعرضوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه، وقيل غير ذلك.

وقد روى الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب الرومي أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال

---

(١) أخرجه ابن جرير.
(٢) أخرجه ابن جرير أيضاً.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٤) أخرجه ابن جرير.
(٥) حكاه البغوي.

للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إليّ غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب، فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر، قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم: أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟ قال، فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس، فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عزَّ وجلَّ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فآمن فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال الملك: يا فلان من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي؟ فقال: أنا! قال: لا، ربي وربك الله، قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عزَّ وجلَّ. قال: أنا؟ قال: لا، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتي بالراهب، فقال: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، حتى وقع شقاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور، فقال: إذا لججتم به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو، قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل: باسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل ووضع السهم في كبد قوسه، ثم رماه وقال: باسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك؛ قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أُماه فإنك على الحق[1].

---

(١) أخرجه احمد ورواه مسلم والنسائي بنحوه.

وروى ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنَس في قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ قال: سمعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر، وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم، فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم، وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هـذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم، فأبوا عليه، فخد أخدوداً من نار، وقال لهم الجبار بعد أن وقفهم عليها، اختاروا هذه أو الذي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية، ففزعت الذرية، فقالوا لهم - أي آباؤهم : لا نار من بعد اليوم، فوقعوا فيها، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين، فأحرقهم الله بهـا، ففي ذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أي حرقوا، قاله ابن عباس ومجاهد ﴿ثم لم يتوبوا﴾ أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا ﴿فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم، ولهذا قال: ﴿ذلك الفوز الكبير﴾، ثم قال تعالى: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه، الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره، لشديد عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوة المتين، ولهذا قال تعالى: ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ أي من قوته وقدرته التامة، يبدئ الخلق ويعيده، كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿وهو الغفور الودود﴾ أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه، و﴿الودود﴾ قال ابن عباس: هو الحبيب ﴿ذو العرش﴾ أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق. و﴿المجيد﴾ فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عزَّ وجلَّ، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح، ﴿فعال لما يريد﴾ أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وعدله، كما روينا عن أبي بكر الصدّيق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، وروى محمد بن اسحاق قصة أصحاب الأخدود بسياق آخر وأنها كانت مع عبدالله بن التـامر وأصحابه المؤمنين في نجران، والله أعلم.

قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال لي: إني فعال لما أريد، وقوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود﴾ أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً أخذعزيز مقتدر، عن عمرو ابن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ فقام يستمع فقال: « نعم قد جاءني »[١]. وقوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ أي هم في شك وريب وكفر وعناد، ﴿والله من ورائهم محيط﴾ أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه، ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي عظيم كريم، ﴿في لوح محفوظ﴾ أي هو في الملأ الأعلى، محفوظ من الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل، روى ابن أبي حاتم عن عبدالرحمن بن سلمان قال: « ما من شيء قضى الله، القرآن فما قبله وما بعده، إلا وهو في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه »[٢]. وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه، وقد روى البغوي عن ابن عباس قال: « إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة »[٣]. وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء »[٤].

[آخر تفسير سورة البروج، ولله الحمد والمنة]

***

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه البغوي.

(٤) أخرجه الطبراني.

(٨٦) سورة الطارق مكية
وآياتها سبع عشرة

روى النسائي عن جابر بن عبدالله قال: صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها ونحوها؟»[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ
لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسماء، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿والسماء والطارق﴾، ثم قال: ﴿وما أدراك ما الطارق﴾، ثم فسّره بقوله: ﴿النجم الثاقب﴾. قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار، ويؤيده ما جاء في الحديث: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن». وقوله تعالى: ﴿الثاقب﴾ قال ابن عباس: المضيء، وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل عليها، وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان، وقوله تعالى: ﴿إن كل نفس لمّا عليها حافظ﴾ أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات، كما قال تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾، وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، لأن من قدر على البداءة، فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾، وقوله تعالى: ﴿خلق من ماء دافق﴾ يعني المني يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو (صدرها)، وقال ابن عباس: صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما، وعنه قال: هذه

---

(١) أخرجه النسائي.

الترائب ووضع يده على صدره، وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر، وعنه أيضاً: الترائب أسفل من التراقي، وقال الثوري: فوق الثديين، وقال قتادة: ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ من بين صلبه ونحره، وقوله تعالى: ﴿ إنه على رجعه لقادر ﴾ فيه قولان: (**أحدهما**) : على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك، قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما . (**الثاني**) : إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر، قال الضحاك واختاره ابن جرير، ولهذا قال تعالى: ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً، وقوله تعالى: ﴿ فماله ﴾ أي الإنسان يوم القيامة ﴿ من قوة ﴾ أي في نفسه، ﴿ ولا ناصر ﴾ أي من خارج منه، أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك .

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم، ﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات[1]، وقوله تعالى: ﴿ إنه لقول فصل ﴾ قال ابن عباس: حق، وقال غيره: حكم عدل، ﴿ وما هو بالهزل ﴾ أي بل هو جد حق، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به، ويصدون عن سبيله فقال: ﴿ إنهم يكيدون كيداً ﴾ أي يمكرون بالناس، في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ثم قال تعالى: ﴿ فمهل الكافرين ﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم، ﴿ أمهلهم رويداً ﴾ أي قليلاً وسترى ماذا أحل بهم، من العذاب والنكال، والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: ﴿ نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ .

[آخر تفسير سورة الطارق ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) وهو قول ابن جرير وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغيرهم .

(٨٧) سُورَةُ الأَعلى مكيّة
وآياتها تسع عشرة

روى البخاري، عن البراء بن عازب قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء حتى قرأت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور مثلها»[1]. وروى مسلم وأهل السنن عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما[2]؛ وقد روى الإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، زادت عائشة: والمعوذتين[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾
فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى
ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: ﴿سبحان ربي الأعلى﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿الذي خلق فسوى﴾ أي خلق الخليقة وسوّى كل مخلوق في أحسن الهيئات، وقوله تعالى: ﴿والذي قدَّر فهدى﴾، قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها، وهذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.
(٢) أخرجه مسلم وأهل السنن.
(٣) أخرجه الإمام أحمد.
(٤) أخرجه أحمد وأبو داود.

الآية كقوله تعالى ﴿وقال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ أي قدّر قدراً وهدى الخلائق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم: «إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[١]. وقوله تعالى: ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي من جميع صنوف النباتات والزروع، ﴿فجعله غثاء أحوى﴾ قال ابن عباس: هشماً متغيراً، وقوله تعالى: ﴿سنقرئك﴾ أي يا محمد ﴿فلا تنسى﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ﴿إلا ما شاء الله﴾ وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن قتادة: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله، وقوله تعالى: ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ أي يعلم ما يجهر به العباد، وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وقوله تعالى: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ أي نسهل عليك أفعال الخير، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر، وقوله تعالى: ﴿فذكِّر إن نفعت الذكرى﴾ أي ذكّر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله، كما قال علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله؟ وقوله تعالى: ﴿سيذكّر من يخشى﴾ أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه، ﴿ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ أي لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال. عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا ما صاروا فحماً أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل»[٢]، ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾، وقال تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾
إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

يقول تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، واتبع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وامتثالاً لشرع الله، روي عن جابر بن عبد الله يرفعه ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال: «هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها»[٣]، وكذا قال ابن عباس إن المراد بذلك الصلوات الخمس، واختاره ابن جرير، وعن عمر بن عبد العزيز أنه

(١) أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.
(٢) أخرجه أحمد ومسلم.
(٣) أخرجه الحافظ البزار.

كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر، ويتلو هذه الآية: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾، وقال قتادة في هذه الآية: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ زكى ماله وأرضى خالقه، ثم قال تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ أي تقدمونها على أمر الآخرة، وتبدّونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم، ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة، خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دانية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»[1] عن عرفجة الثقفي قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ فلما بلغ ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل، وهذا منه على وجه التواضع والهضم، وفي الحديث: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى»[2]، وقوله تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾ كقوله في سورة النجم: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أُخْرَى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى﴾ الآيات إلى آخرهن؛ وهكذا قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾ يقول: الآيات التي في ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى، واختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إنّ هذا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى﴾، ثم قال تعالى: ﴿إن هذا﴾ أي مضمون هذا الكلام ﴿لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾ وهذا الذي اختاره حسن قوي، وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه، والله أعلم.

[آخر تفسير سورة سبح، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

(١) أخرجه أحمد عن عائشة مرفوعاً.

(٢) أخرجه أحمد عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً.

(٨٨) سُورَةُ الغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ

عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة[1] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

الغاشية من أسماء يوم القيامة، لأنها تغشى الناس وتعمهم، روي عن عمرو بن ميمون أنه قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ فقام يستمع، ويقول: « نعم قد جاءني » . وقوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾ أي ذليلة ، وقال ابن عباس: تخشع ولا ينفعها عملها، وقوله تعالى: ﴿ عاملة ناصبة ﴾ أي قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة ناراً حامية، عن ابي عمران الجوني قال: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدير راهب، قال، فناداه: يا راهب، فأشرف، قال، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال: ذكرت قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿ عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية ﴾ فذاك الذي أبكاني، قال ابن عباس: ﴿ عاملة ناصبة ﴾ النصارى، وعن عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في النار بالعذاب والإهلاك . قال ابن عباس: ﴿ تصلى ناراً حامية ﴾ أي حارة شديدة الحر، ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ أي قد انتهى حرها وغليانها [2] ، وقوله تعالى: ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ قال ابن عباس: شجر من النار، وقال سعيد بن جبير: هو الزقوم، وعنه أنها الحجارة ، وقال البخاري، قال مجاهد: الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو سم، وقال قتادة: ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ من شر الطعام وأبشعه وأخبثه، وقوله تعالى: ﴿ لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾ يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور .

---

(١) أخرجه مسلم وأصحاب السنن .

(٢) وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

لما ذكر حال الأشقياء ثنّى بذكر السعداء فقال: ﴿وجوه يومئذ﴾ أي يوم القيامة، ﴿ناعمة﴾ أي يعرف النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك بسعيها، ﴿لسعيها راضية﴾ قد رضيت عملها، وقوله تعالى: ﴿في جنة عالية﴾ أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون، ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو، كما قال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً﴾، وقال تعالى: ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم﴾، ﴿فيها عين جارية﴾ أي سارحة وليس المراد بها عيناً واحدة وإنما هذا جنس يعني فيها عيون جاريات، وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو من تحت جبال - المسك»[1]، ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ أي عالية ناعمة، كثيرة الفرش مرتفعة السمك، عليها الحور العين، فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له، ﴿وأكواب موضوعة﴾ يعني أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادها، ﴿ونمارق مصفوفة﴾ قال ابن عباس: النمارق الوسائد[2]، وقوله تعالى: ﴿وزرابي مبثوثة﴾ قال ابن عباس: الزرابي البسط، ومعنى مبثوثة: أي ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها، عن أُسامة بن زيد قال، قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لاخطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية!»، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: «قولوا: إن شاء الله» قال القوم إن شاء الله[3].

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾؟ فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول: أخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت! أي كيف رفعها الله عزَّ وجلَّ عن الأرض هذا الرفع العظيم، كما قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾، ﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾ أي جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها «وجعل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) وكذا قال عكرمة وقتادة والضحّاك والسدي وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن ماجة.

فيها ما جعل من المنافع والمعادن، ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ ! أي كيف بسطت ومدت ومهدت، فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته، على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإلّه الذي لا يستحق العبادة سواه، ، عن أنَس قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن كل شيء، فكان يعجبنا أن أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله، ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد إنا أتانا رسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق» قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله» قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله»، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله»، قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال: «نعم». قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا، قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «صدق»، قال: ثم ولى، فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئاً ولا أنقص منهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: «إن صدق ليدخلن الجنة»[1] .

وقوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر﴾ أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾، ولهذا قال: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾؛ قال ابن عباس ومجاهد: لست عليهم بجبار، أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم، وقال ابن زيد: لست بالذي تكرههم على الإيمان، عن جابر قال، قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلّه إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ» ثم قرأ: ﴿فذكِّر إنما أنت مذكِّر * لستَ عليهم بمسيطر﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿إلا من تولى وكفر﴾ أي تولى عن العمل بأركانه، وكفر بالحق بجنانه ولسانه، وهذه كقوله تعالى: ﴿فلا صدَّق ولا صلَّى * ولكن كذَّب وتولى﴾، ولهذا قال: ﴿فيعذِّبه الله العذاب الأكبر﴾، روى الإمام أحمد: أن أبا أمامة الباهلي مرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن أَلين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير عن أهله»[3]. وقوله تعالى: ﴿إن إلينا إيابهم﴾ أي مرجعهم ومنقلبهم، ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ.

[آخر تفسير سورة الغاشية، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه مسلم وأصحاب السنن والإمام أحمد، وجاء في بعض الروايات: «وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر».
(٢) أخرجه أحمد ورواه مسلم والنسائي والترمذي.
(٣) تفرد بإخراجه الإمام أحمد.

(٨٩) سورة الفجر مكية
وآياتها ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

أمّا الفجر فمعروف وهو الصبح، وعن مسروق: المراد بـه فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر، وقيل: المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده، والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة[1]، وقـد ثبت في صحيح البخاري « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال: « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجُلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء »[2].
وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم، عن ابن عباس : ﴿ وليال عشر ﴾ قال: هو العشر الأول من رمضان، والصحيح القول الأول . روي عن جابر يرفعه: « إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر »[3].
وقوله تعالى: ﴿ والشفع والوتر ﴾ الوتر يوم عرفة لكونه التاسع، والشفع يوم النحر لكونه العاشر، قاله ابن عباس :
قول ثان : عن واصل بن السائب قال : سألت عطاء عن قوله تعالى: ﴿ والشفع والوتر ﴾ قلت: صلاتنا وترنـــا هذا ؟ قال: لا ، ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى . **قول ثالث** : عن أبي سعيد بن عوف قال: سمعت عبدالله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر ؟ فقال: الشفع

---

(١) وهو قول ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف .
(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس مرفوعاً .
(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن أبي حاتم ، قال ابن كثير : إسناد رجاله لا بأس بهم والمتن في رفعه نكارة .

قول الله تعالى: ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه﴾، والوتر قوله تعالى: ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾[1]. وفي الصحيحين: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»[2]. **قول رابع**: قال الحسن البصري: الخلق كلهم شفع ووتر، أقسم تعالى بخلقه[3]. وقال ابن عباس: ﴿والشفع والوتر﴾ قال: الله وتر واحد، وأنتم شفع، ويقال: الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب. **قول خامس**: عن مجاهد ﴿والشفع والوتر﴾ قال: الشفع الزوج، والوتر الله عزَّ وجلَّ[4]، وعنه: الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى، وعنه: كل شيء خلقه الله شفع: السماء والأرض، والبر والبحر، والجن والإنس، والشمس والقمر، ونحو هذا، كقوله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ أي لتعلموا أن خالق الأزواج واحد. **قول سادس**: قال الحسن: ﴿والشفع والوتر﴾ هو العدد منه شفع، ومنه وتر. **قول سابع**: قال أبوالعالية والربيع بن أنس: هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية، ومنها وتر كالمغرب، فإنها ثلاث، وهي وتر النهار، وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل، ولم يجزم ابن جرير بشيء من الأقوال في الشفع والوتر.

وقوله تعالى: ﴿والليل إذا يسر﴾ قال ابن عباس: أي إذا ذهب، وقال مجاهد وأبو العالية ﴿والليل إذا يسر﴾: إذا سار أي ذهب، ويحتمل إذا سار: أي أقبل، وهذا أنسب لأنه في مقابلة قوله: ﴿والفجر﴾ فإن الفجر هو إقبال النهار، وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: ﴿والليل إذا يسر﴾ على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس، كقوله: ﴿والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس﴾ وقال الضحّاك: ﴿والليل إذا يسر﴾ أي يجري، وقال عكرمة: ﴿والليل إذا يسر﴾ يعني ليلة جمع ليلة المزدلفة، وقوله تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ أي لذي عقل ولب وحجى، وإنما سمي العقل (حجراً) لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، وحجَر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب، التي يتقرب إليه عباده المتقون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضعون لديه، الخاشعون لوجهه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾؟ وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعبراً فقال: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد﴾؟ وهؤلاء (عاد الأولى) وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم ﴿بريح صرصر عاتية﴾، وقد ذكر الله قصتهم في القرآن، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى: ﴿إرم ذات العماد﴾ عطف بيان زيادة تعريف بهم، وقوله تعالى: ﴿ذات العماد﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشاً، ولهذا ذكّرهم (هود) بتلك النعمة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٢) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٣) وهو رواية عن مجاهد.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم.

وقال تعالى : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾، وقال ههنا : ﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم، وقال مجاهد: إرم أمة قديمة يعني عاداً الأولى، قال قتادة والسدي: إن إرم بيت مملكة عاد، وكانوا أهل عمد لا يقيمون، وقال ابن عباس: إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم، واختار الأول ابن جرير، وقوله تعالى: ﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ الضمير يعود على القبيلة، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم، روي عن المقدام أنه ذكر ﴿ إرم ذات العماد﴾ فقال: « كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم »[1]، وسواء كانت العماد أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم للبدو، أو سلاحهم يقاتلون به، أو طول الواحد منهم، فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقرونون بثمود كما ههنا، والله أعلم. ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿ إرم ذات العماد﴾ مدينة إما دمشق، أو اسكندرية أو غيرهما، فضعيف لأنه لا يتسق الكلام حينئذ، ثم المراد إنما هو الاخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم، وقول ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿ إرم ذات العماد﴾ قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف، فيه نظر، لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده: ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ يعني يقطعون الصخر بالوادي، قال ابن عباس: ينحتونها ويخرقونها، يقال: اجتاب الثوب: إذا فتحه، وقال تعالى: ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾، وقال ابن إسحاق: كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي القرى، وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته. وقوله تعالى: ﴿ وفرعون ذي الأوتاد﴾ قال ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها، وكذا قال مجاهد: كان يوتد الناس بالأوتاد، وقال السدي: كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه، وقال ثابت البناني: قيل لفرعون ذي الأوتاد، لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت، وقوله تعالى: ﴿ الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد﴾ أي تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس، ﴿ فصبّ عليهم ربك سوط عذاب﴾ أي أنزل عليهم رجزاً من السماء، وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين، وقوله تعالى: ﴿ إن ربك لبالمرصاد﴾ قال ابن عباس: يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون، ويجازي كلاً بسعيه في الدنيا والأخرى، وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلاً بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور.

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ
عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ
﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن المقدام مرفوعاً.

يقول تعالى منكراً على الإنسان، إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان، كما قال تعالى: ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، قال الله تعالى: ﴿ كلا﴾ أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيراً بأن يصبر ، وقوله تعالى: ﴿ بل لا تكرمون اليتيم﴾ فيه أمر بالاكرام له كما جاء في الحديث: « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه »[1]. وقال ﷺ: « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام[2]، ﴿ ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك ﴿ وتأكلون التراث﴾ يعني الميراث ﴿ أكلاً لمًّا﴾ أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام ﴿ وتحبون المال حباً جماً﴾ أي كثيراً فاحشاً.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى: ﴿ كلاّ﴾ أي حقاً ﴿ إذا دكت الأرض دكاً دكاً﴾ أي وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ﴿ وجاء ربك﴾ يعني لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق، محمد صلوات الله وسلامه عليه، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً، وقوله تعالى: ﴿ وجيء يومئذ بجهنم﴾ روى الإمام مسلم في صحيحه: عن عبد الله بن مسعود قال رسول ﷺ: « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »[3]، وقوله تعالى: ﴿ يومئذ يتذكر الإنسان﴾ أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه، ﴿ وأنّى له الذكرى﴾ أي وكيف تنفعه الذكرى، ﴿ يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾ يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً، كما قال الإمام أحمد بن حنبل عن جبير بن نفير عن محمد بن عمرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة، ولود أنه رد إلى الدنيا

---

(١) أخرجه عن عبد الله من المبارك .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه .

كما يزداد من الأجر والثواب، وقال الله تعالى: ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾ أي ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ أي وليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم عزَّ وجلَّ، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، فيقال لها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾ أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته ﴿راضية﴾ أي في نفسها، ﴿مرضية﴾ أي قد رضيت عن الله، ورضي عنها وأرضاها، ﴿فادخلي في عبادي﴾ أي في جملتهم، ﴿وادخلي جنتي﴾ وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا، ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، فروي أنها نزلت في عثمان بن عفّان، وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ قال: نزلت وأبو بكر جالس فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا؟ فقال: «أما إنه سيقال لك هذا»[1]. وروى الحافظ ابن عساكر، عن أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «قل: اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك»[2].

[آخر تفسير سورة الفجر، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الحافظ ابن عساكر.

(٩٠) سُورَةُ البَلَدِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة (أُم القرى) في حال كون الساكن فيها حلالاً، لينبّه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها، قال مجاهد: ﴿ لا أُقسم بهذا البلد﴾ لا، رد عليهم . أقسم بهذا البلد، وقال ابن عباس : ﴿ لا أقسم بهذا البلد﴾ يعني مكة ﴿ وأنت حِلٌّ بهذا البلد﴾ قال: أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به، وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك، وقال الحسن البصري: أحلها الله له ساعة من نهار، وهذا المعنى قد ورد به الحديث المتفق على صحته: « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب »[1] . وفي لفظ آخر : « فإن أحد ترخّص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم »، وقوله تعالى: ﴿ ووالد وما ولد﴾ قال ابن عباس: الوالد الذي يلد ﴿ وما ولد﴾ العاقر الذي لا يولد له، وقال مجاهد وقتادة والضحّاك: يعني بالوالد آدم ﴿ وما ولد﴾ ولده، وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي ، لأنه تعالى لما أقسم بأُم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن، وهو (آدم) أبو البشر وولده، واختار ابن جرير أنه عام في كل ولد وولدة وهو محتمل أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ روي عن ابن مسعود وابن عباس: يعني منتصباً، زاد ابن عباس: منتصباً في بطن أمه، والكبد: الاستواء والاستقامة، ومعنى هذا القول : لقد خلقناه سوياً مستقيماً ، كقوله تعالى :﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾، وكقوله تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ وقال ابن عباس ﴿ في كبد﴾ في شدة خلق،

---

(١) أخرجه الشيخان وأصحاب السنن .

ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه، وقال مجاهد: ﴿في كبد﴾ نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، يكبد في الخلق، وهو كانوله تعالى: ﴿حملته أُمّه كرهاً ووضعته كرهاً﴾ فهو يكابد ذلك، وقال سعيد بن جبير: ﴿في كبد﴾ في شدة وطلب معيشة، وقال قتادة: في مشقة، وقال الحسن: يكابد أمر الدنيا وأمر من الآخرة، وفي رواية: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة، واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها.

وقال تعالى: ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ قال الحسن البصري: يعني يأخذ ماله، وقال قتادة: يظن أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، وقال السدي: ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ قال: الله عزَّ وجلَّ يظن أن لن يقدر عليه ربه، وقوله تعالى: ﴿يقول أهلكت مالاً لبداً﴾ أي يقول ابن آدم: أنفقت ﴿مالاً لبداً﴾ أي كثيراً قاله مجاهد والحسن، ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ قال مجاهد: أي أيحسب أن لم يره الله عزَّ وجلَّ، وكذا قال غيره من السلف، وقوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ أي يبصر بهما ﴿ولساناً﴾ أي ينطق به فيعبر عما في ضميره ﴿وشفتين﴾ يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه وفمه. وقد روى الحافظ ابن عساكر عن مكحول قال؛ قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم، قد أنعمت عليك نعماً عظاماً، لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك، فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً، فانطق بما أمرتك، وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يا ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي»[1]. ﴿وهديناه النجدين﴾: الطريقين، قال ابن مسعود: الخير والشر، وعن أبي رجاء قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وهديناه النجدين﴾ قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يا أيها الناس إنهما النجدان: نجد الخير، ونجد الشر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»[2]، وقال ابن عباس ﴿هديناه النجدين﴾ قال: الثديين، قال ابن جرير: والصواب القول الأول، نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾.

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

روى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فلا اقتحم﴾ أي دخل ﴿العقبة﴾ قال: جبل في جهنم، وقال كعب الأحبار: هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى، ﴿وما أدراك ما العقبة﴾؟ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال: ﴿فك رقبة *

(١) أخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي.

(٢) أخرجه ابن جرير عن الحسن مرسلاً.

أو إطعام﴾، وقال ابن زيد: ﴿فلا أقتحم العقبة﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير، ثم بينها فقال تعالى: ﴿وما أدراك ما العقبة * فك رقبة﴾، عن سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب - أي عضو - منها إرباً منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج»، فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم، فقال علي ابن الحسين لغلام له أفره غلمانه: ادع مطرفاً، فلما قام بين يديه، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله»(١). وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم، وعن عمرو ابن عبسة أن النبي ﷺ قال: «من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة، ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»(٢). وفي الحديث: «من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة، ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار، ومن أعتق زوجين في سبيل الله فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها»(٣). وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد.

وقوله تعالى: ﴿أو إطعام في يوم ذي مسبغة﴾ قال ابن عباس: ذي مجاعة(٤)، والسغب: هو الجوع، وقال النخعي: في يومٍ الطعامُ فيه عزيز، وقال قتادة: في يوم مشتهى فيه الطعام، وقوله تعالى: ﴿يتيماً﴾ أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيماً ﴿ذا مقربة﴾ أي ذا قرابة منه، كما جاء في الحديث الصحيح: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة»(٥). وقوله تعالى: ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ أي فقيراً مدقعاً لاصقاً بالتراب، وهو الدقعاء أيضاً، قال ابن عباس: ذا متربة هو المطروح في الطريق، الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب. وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء، وقال عكرمة: هو الفقير المدين المحتاج، وقال سعيد بن جبير: هو الذي لا أحد له، وقال قتادة: هو ذو العيال، وكل هذه قريبة المعنى، وقوله تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه، محتسب ثواب ذلك عند الله عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾، وقوله تعالى: ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ أي كان من المؤمنين العاملين صالحاً. «المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم»، كما جاء في الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وعن عبد الله بن عمرو يرويه قال: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»(٦)، وقوله تعالى: ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين، ثم قال:

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد.

(٢) أخرجه أحمد.

(٣) أخرجه أحمد أيضاً.

(٤) وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحّاك وقتادة وغيرهم.

(٥) أخرجه أحمد ورواه الترمذي والنسائي وإسناده صحيح. (٦) أخرجه أبو داود.

﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴾ أي أصحاب الشمال، ﴿ عليهم نار مؤصدة ﴾ أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها. ولا خروج لهم منها، قال أبو هريرة ﴿ مؤصدة ﴾ أي مطبقة، وقال ابن عباس: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أصد الباب أي أغلقه، وقال الضحّاك: ﴿ مؤصدة ﴾ حيط لا باب له، وقال قتادة ﴿ مؤصدة ﴾: مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد، وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا بالحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم أي أطبقوها، قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً(1).

[آخر تفسير سورة البلد . ولله الحمد والمنة]

***

(٩١) سورة الشمس مكيّة
وآياتها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا (١) وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (٢) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا (٤) وَٱلسَّمَآءِ
وَمَا بَنَىٰهَا (٥) وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا (٦) وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨) قَدۡ أَفۡلَحَ
مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠)

قال مجاهد ﴿ والشمس وضحاها ﴾: أي وضوئها، وقال قتادة: ﴿ وضحاها ﴾ النهار كله. قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار، ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ قال مجاهد: تبعها، وقال ابن عباس: ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ قال: يتلو النهار، وقال قتادة: إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤي الهلال. وقال ابن زيد: هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثم هي تتلوه وهو يتقدمها

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

في النصف الأخير من الشهر، وقوله تعالى: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ قال مجاهد: أضاءها، وقال قتادة: إذا غشيها النهار، وتأول بعضهم ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها[١]. (قلت): ولو أن القائل تأول ذلك بمعنى ﴿والنهار إذا جلاها﴾ أي البسيطة لكان أولى، ولصح تأويله في قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ فكان أجود وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ إنه كقوله تعالى: ﴿والنهار إذا تجلى﴾، وأما ابن جرير فاختار عود الضمير ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها، وقالوا في قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق. وقال بقية: إذا جاء الليل قال الرب جلَّ جلاله: غشي عبادي خلقي العظيم، فالليل تهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب[٢]. وقوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾ يحتمل أن تكون (ما) ههنا مصدرية بمعنى: والسماء وبنائها، وهو قول قتادة، ويحتمل أن تكون بمعنى (من) يعني: والسماء وبانيها، وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد - أي بقوة - وإنا لموسعون﴾، وقوله تعالى: ﴿والأرض وما طحاها﴾ قال مجاهد: ﴿طحاها﴾ دحاها، وقال ابن عباس: أي خلق فيها، وقال مجاهد وقتادة والضحّاك: ﴿طحاها﴾ بسطها، وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهري: طحوته مثل دحوته أي بسطته، وقوله تعالى: ﴿ونفس وما سوّاها﴾ أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾، وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة». وفي صحيح مسلم: «يقول الله عزَّ وجلَّ: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم». وقوله تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس: بيّن لها الخير والشر، وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر، وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقواها. وفي الحديث: أن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيء قضي عليهم من قدر قد سبق، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد قضي عليهم»، قال: ففيم نعمل؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾»[٣].

وقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ المعنى قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، كقوله: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ ﴿وقد خاب من دساها﴾ أي دسسها أي أخملها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عزَّ وجلَّ، وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه، وقد خاب من دسّى الله نفسه، كما قال ابن عباس[٤]. وروى ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة

(١) ذكره ابن جرير عن بض أهل اللغة.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

(٣) رواه أحمد ومسلم.

(٤) هذا القول عن ابن عباس ورد به حديث مرفوع: «أفلحت نفس زكّاها الله عزّ وجلّ» أخرجه ابن أبي حاتم ولكن في إسناده ضعف.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ قال: « اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها »[١]، وفي رواية عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه، فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول: « رب أعط نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها »[٢].

حديث آخر: روى الإمام أحمد، عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها »[٣]. قال زيد: كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكوهن.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ أي أشقى القبيلة وهو (قدار بن سالف) عاقر الناقة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ الآية، وكان هذا الرجل عزيزاً شريفاً في قومه، نسيباً رئيساً مطاعاً، كما قال الإمام أحمد: خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة، وذكر الذي عقرها، فقال: « ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة »[٤]. وروى ابن أبي حاتم، عن عمار بن ياسر قال، قال رسول الله ﷺ لعلي: « ألا أحدثك بأشقى الناس؟ » قال: بلى، قال: « رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا -يعني قرنه- حتى تبتل منه هذه » يعني لحيته[٥]. وقوله تعالى: ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿ ناقة الله ﴾ أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، ﴿ وسقياها ﴾ أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم، ولكم شرب يوم معلوم، قال الله تعالى: ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ أي كذبوه فيما جاءهم به، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة، التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ﴾ أي غضب عليهم فدمّر عليهم، ﴿ فسواها ﴾ أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء. قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها، وقوله تعالى: ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة[٦]. وقال الضحّاك والسدي: ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه، والله أعلم.

[آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٢) أخرجه أحمد.
(٣) أخرجه أحمد ومسلم.
(٤) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن زمعة.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٦) وكذا قال مجاهد والحسن وبكر المزني وغيرهم.

(٩٢) سورة الليل مكية
وآياتها إحدى وعشرون

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ: « فهلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ
أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ
بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾

اقسم تعالى بالليل ﴿إذا يغشى﴾ أي إذا غشى الخليقة بظلامه، ﴿والنهار إذا تجلى﴾ أي بضيائه وإشراقه، ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ كقوله تعالى: ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾، ﴿إن سعيكم لشتى﴾ أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة ومتخالفة، فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً، قال الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ أي أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره، ﴿وصدّق بالحسنى﴾ بالمجازاة على ذلك أي بالثواب، وقال ابن عباس، ومجاهد: ﴿وصدّق بالحسنى﴾ أي بالخُلْف، وقال الضحّاك: بلا إله إلا الله، وقال أُبيّ بن كعب: سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال: « الحسنى : الجنة »[1]. وقوله تعالى: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ قال ابن عباس: يعني للخير، وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة، ﴿وأما من بخل﴾ أي بما عنده ﴿واستغنى﴾ قال ابن عباس: أي بخل بماله واستغنى عن ربه عزّ وجلّ: ﴿وكذب بالحسنى﴾ أي بالجزاء في الدار الآخرة ﴿فسنيسره للعسرى﴾ أي لطريق الشر، كما قال تعالى ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عزّ وجلّ يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة. روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم .

قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - إلى قوله - للعسرى﴾[1]، وفي رواية أُخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس، فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد - أو ما من نفس منفوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء»، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾[2]. وعن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه؟ فقال: «لأمر قد فرغ منه» فقال سراقة: ففيم العمل إذاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل عامل ميسر لعمله»[3]. وفي الحديث: «ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين: اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً» وأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾[4]. وذكر أن هذه الآية نزلت في (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه كان يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالاً جلداء يقومون معك، ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال: أي أبت إنما أريد ما عند الله، فنزلت الآية: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ قال مجاهد: أي إذا مات، وقال زيد بن أسلم: إذا تردى في النار.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

قال قتادة ﴿إن علينا للهدى﴾: أي نبيّن الحلال والحرام، وقال غيره: من سلك طريق الهدى وصل إلى الله، وجعله كقوله تعالى: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾، وقوله تعالى: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما، وقوله تعالى: ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ قال مجاهد: أي توهج، وفي الحديث: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه» أخرجه البخاري. وفي رواية

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه البخاري وبقية الجماعة.
(٣) رواه مسلم وابن جرير.
(٤) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.
(٥) أخرجه ابن جرير.

لمسلم: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً»[١]. وقوله تعالى: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾ أي لا يدخلها إلا الأشقى، ثم فسره فقال: ﴿الذي كذب﴾ أي بقلبه ﴿وتولى﴾ أي عن العمل بجوارحه وأركانه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا شقي»، قيل: ومن الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل بطاعة، ولا يترك لله معصية»[٢]. وقال رسول الله ﷺ: «كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[٣]. وقوله تعالى: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ أي وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى، ثم فسره بقوله: ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ أي ليس بذله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، وإنما دفعه ذلك ﴿ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، قال الله تعالى: ﴿ولسوف يرضى﴾ أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإنه كان صدّيقاً تقياً، كريماً جواداً، بذالاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله ﷺ، وكان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له (عروة بن مسعود) وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يدٌ لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصدّيق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى﴾. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أعتق زوجين في سبيل الله، دعته خزنة الجنة يا عبدالله هذا خير»، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»[٤].

[آخر تفسير سورة الليل، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير.

(٢) أخرجه الإمام أحمد.

(٣) أخرجه البخاري وأحمد عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه الشيخان.

(٩٣) سورة الضحى مكية
وآياتها إحدى عشرة

يستحب التكبير من آخر الضحى لآخر سورة الناس، وقد ذكر القراء أن ذلك سنّة مأثورة وذكروا في مناسبة التكبير من أول (سورة الضحى) أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه: ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ السورة بتمامها كبّر فرحاً وسروراً(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾

روى **الإمام أحمد**، عن جندب بن عبد الله قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى﴾(٢). وفي رواية: أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقال المشركون: ودع محمداً ربه، فأنزل الله تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى﴾، وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ﴿والليل إذا سجى﴾ أي سكن فأظلم وادلهم، وذلك دليل ظاهر على قدرته تعالى، كما قال تعالى: ﴿والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى﴾، وقال تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم﴾، وقوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك﴾ أي ما تركك ﴿وما قلى﴾ أي وما أبغضك، ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها إطراحاً، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خيِّر عليه السلام في آخر عمره، بين الخلد في

---

(١) قال ابن كثير: لم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم.

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي.

الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله عزَّ وجلَّ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية، روى الإمـام أحمد، عن عبدالله بن مسعود قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، وقلت: يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: « مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها »[1]. وقوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أُمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتـاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتي. وروي عن ابن عباس أنه قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أُمته من بعده كنزاً كنزاً فسرّ بذلك، فأنزل الله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم[2]، وقال السدي عن ابن عباس: من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحـد من أهل بيته النار، قال الحسن: يعني بذلك الشفاعة، ثم قال تعالى يعدّد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ وذلك أن أباه توفي وهو حمـل في بطن أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

وقوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ كقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ الآية، ومنهم من قال: إن المراد بهذا أن النبي ﷺ ضلّ في شعاب مكّة وهو صغير ثم رجع، وقيل: إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكباً ناقة في الليل، فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق، حكاهما البغوي، وقوله تعالى: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ أي كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر، صلوات الله وسلامه عليه، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس »[3]. وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بمـا آتاه »[4]. ثم قال تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ أي كما كنت

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير، قال ابن كثير: إسناده صحيح، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف.

(٣) أخرجه الشيخان.

(٤) أخرجه مسلم.

يتيماً فآواك الله، فلا تقهر اليتيم، أي لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به، وقال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم، ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أي وكما كنت ضالاً فهداك الله، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد، قال ابن إسحاق: ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أي فلا تكن جباراً ولا متكبراً، ولا فحاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله، وقال قتادة: يعني ردّ المسكين برحمة ولين، ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ أي وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله، فحدث بنعمة الله عليك، كما جاء في الدعاء المأثور: «واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، قابليها وأتمها علينا». وعن أبي نضرة قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها[1]، وفي الصحيحين عن أنَس أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله، قال: «لا، ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم»[2]. وروى أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[3]. وقال مجاهد: يعني النبوة التي أعطاك ربك، وفي رواية عنه: القرآن، وقال الحسن بن علي: ما عملت من خير فحدّث إخوانك، وقال ابن إسحاق: ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة، فحدث بها واذكرها وادع إليها.

[آخر تفسير سورة الضحى . ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) رواه ابن جرير.

(٢) أخرجه الشيخان.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي.

(٩٤) سورة الشرح مكية وآياتها ثمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

يقول تعالى : ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ يعني قد شرحنا لك صدرك أي نورناه، وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً سمحاً سهلاً ، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق ، وقيل: المراد بقوله: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ شرح صدره ليلة الإسراء، وهذا وإن كان واقعاً ليلة الاسراء ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الحسي الشرح المعنوي أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ بمعنى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾، ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ الإنقاض الصوت أي أثقلك حمله، وقوله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ قال مجاهد: لا اذكر إلا ذكرت معي «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، روى ابن جرير عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي»[1]. وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان، يعني ذكره فيه، كما قال حسان بن ثابت:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره في أمته، فلا يذكر الله إلا ذكر معه.

---

(١) رواه ابن جرير .

وقوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً﴾ أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر، ثم أكد هذا الخبر، بقوله ﴿إن مع العسر يسراً﴾، قال الحسن: كانوا يقولون: لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين، وعن قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشّر أصحابه بهذه الآية فقال: «لن يغلب عسر يسرين»[1]، ومعنى هذا أن العسر معرف في الحالين، فهو مفرد، واليسر منكر، فتعدّد، ولهذا قال: «لن يغلب عسر يسرين» يعني قوله: ﴿فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً﴾ فالعسر الأول عين الثاني، واليسر تعدّد، ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا   من راقب الله في الأمور نجا
من صدّق الله لم ينله أذى   ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى   ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب﴾ أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، واخلص لربك النية والرغبة. قال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك. وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وفي رواية عنه ﴿فانصب﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس، وقال ابن عباس ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ يعني في الدعاء، وقال الضحّاك ﴿فإذا فرغت﴾ أي من الجهاد ﴿فانصب﴾ أي في العبادة ﴿وإلى ربك فارغب﴾ قال الثوري: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عزَّ وجلَّ.

[آخر تفسير سورة ألم نشرح . ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) رواه ابن جرير.

(٩٥) سورة التين مكية وآياتها ثمان

روى مالك عن البراء بن عازب قال: « كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه » أخرجه الجماعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة فقيل: المراد بالتين دمشق، وقيل: الجبل الذي عندها، وقال القرطبي: هو مسجد أصحاب الكهف، وروي عن ابن عباس: أنه مسجد نوح الذي على الجودي، وقال مجاهد: هو تينكم هذا ﴿والزيتون﴾ قال قتادة: هو مسجد بيت المقدس، وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون، ﴿وطور سينين﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني مكة[1]، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم، أصحاب الشرائع الكبار. (**فالأول**) محلة التين والزيتون وهي (بيت المقدس) التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام، (**والثاني**) طور سينين وهو (طور سيناء) الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، (**والثالث**) مكة وهو (البلد الأمين) الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي، بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم

---

(١) هو قول جمهور المفسرين، قال ابن كثير: ولا خلاف في ذلك.

الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما، وقوله تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل؛ منتصب القامة، سويّ الأعضاء حسنها . ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أي إلى النار[1] . أي بعد هذا الحسن والنضارة، مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا قال : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، وقال بعضهم: ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين﴾ أي إلى أرذل العمر[2] . واختار ذلك ابن جرير، ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى: ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، وقوله: ﴿ فلهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع، ثم قال: ﴿ فما يكذبك﴾ أي يا ابن آدم ﴿ بعد بالدين﴾ ؟ أي بالجزاء في المعاد، ولقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى : ، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ روى ابن أبي حاتم عن منصور قال، قلت لمجاهد : ﴿ فما يكذبك بعد بالدين﴾ عنى به النبي ﷺ ؟ قال: « معاذ الله » عنى بـه الإنسان[3] ، وقوله تعالى: ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه، وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعاً : فإذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين .

[آخر تفسير سورة التين والزيتون . ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) قاله مجاهد والحسن وأبو العالية وابن زيد .

(٢) وروي هذا القول عن ابن عباس وعكرمة ، حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٩٦) سُورَةُ العَلَق مكيّة
وآياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾

عن عائشة قالت: أول ما بديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى فجأه الوحي، وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، قال رسول الله ﷺ: « فقلت: ما أنا بقارئ – قال – فأخذني فغطّني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطّني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق – حتى بلغ – ما لم يعلم ». قال: فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة فقال: « زمّلوني زمّلوني »، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة: « مالي » ؟! وأخبرها الخبر، وقال: « قد خشيت على نفسي ». فقالت له: « كلّا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق »، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به (ورقة بن نوفل) بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: « أو مخرجيّ هم ؟ » فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي »[1].

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم

---

(١) أخرجه الشيخان والإمام أحمد واللفظ له.

الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كرمه تعالى أن علّم الإنسان ما لم يعلم فشرّفه وكرّمه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز بـه أبو البرية آدم على الملائكة ؛ والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان[1] ، ذهني، ولفظي، ورسمي، فلهذا قال: ﴿ اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ ، وفي الأثر : من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يكن يعلم .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان، أنه ذو أشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قـد استغنى وكثر ماله، ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿ إن إلى ربك الرجعى﴾ أي إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفتـه ، عن عبدالله بن مسعود قال: منهومان لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فأمـا صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، قال، ثم قرأ عبدالله: ﴿ إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾، وقال للآخر : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾، وقد روي هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ : « منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا »[2] ، ثم قال تعالى: ﴿ أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلّى﴾ نزلت في (أبي جهل) لعنه الله، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولاً، فقال: ﴿ أرأيت إن كان على الهدى﴾ أي فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعلـه ﴿ أو أمر بالتقوى﴾ بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ؟ ولهذا قال: ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ؟ أي أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء، ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً ﴿ كلا لئن لم ينته﴾ أي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَنَسْفَعًا بالناصية﴾ أي لنسمنّها سواداً يوم القيامة، ثم قال: ﴿ ناصية كاذبة خاطئة﴾ يعني ناصية (أبي جهل) كاذبة في مقالهـا، خاطئة في أفعالها، ﴿ فليدع ناديه﴾ أي قومه وعشيرته أي ليدعهم يستنصر بهم، ﴿ سندع الزبانية﴾ وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب، أحزبنا أو حزبه ؟ روى البخاري عن ابن عباس قال، قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ النبي ﷺ فقال: « لئن فعل لأخذته الملائكة »[3]. عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فمرّ بـه أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعدّه فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله : ﴿ فليـدع

(١) وفي الأثر : قيدوا العلم بالكتابة .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم .
(٣) أخرجه البخاري .

ناديه * سندعُ الزبانية﴾ وقال ابن عباس: لودعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته[١]. وروى ابن جرير، عن أبي هريرة قال؛ قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلاوهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة! قال، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»، قال: وأنزل الله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾[٢] إلى آخر السورة، وقوله تعالى: ﴿كلا لا تطعه﴾ يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصلِّ حيث شئت ولا تبالِه، فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس، ﴿واسجد واقترب﴾ كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[٣]. وتقدم أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يسجد في ﴿إذا السماء انشقت﴾ و ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾.

[آخر تفسير سورة اقرأ . ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

(٩٧) سورة القدر مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ﴿ليلة القدر﴾ وهي الليلة المباركة التي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾، قال ابن عباس: أنزل

(١) أخرجه أحمد والترمذي، وقال جسن صحيح.
(٢) رواه أحمد والنسائي وابن جرير واللفظ له.
(٣) رواه مسلم في صحيحه.

القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ، ثم قال تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها، فقال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر﴾. روى ابن أبي حاتم، عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فعجب المسلمون من ذلك قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر(١)، وروى ابن جرير، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدوّ بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل»(٢). وقال سفيان الثوري: بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر، وعن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر، وقال عمرو بن قيس: عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر، وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب، كقوله ﷺ: «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل»(٣). وفي الحديث الصحيح في فضائل رمضان قال عليه السلام: «فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»(٤) ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٥). وقوله تعالى: ﴿تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيماً له، وأما الروح فقيل: المراد به ههنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام، وقيل: هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبأ، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿من كل أمر﴾ قال مجاهد: سلام هي من كل أمر، وقال سعيد بن منصور عن مجاهد في قوله: ﴿سلام هي﴾ قال: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، أو يعمل فيها أذى، وقال قتادة: تقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق، كما قال تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾. وروى أبو داود الطيالسي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إنها ليلة سابعة، أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى»(٦). وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿سلام هي﴾ يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر، وأمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر، والشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.
(٢) أخرجه ابن جرير عن مجاهد موقوفاً.
(٣) أخرجه أحمد.
(٤) أخرجه أحمد والنسائي.
(٥) أخرجه الشيخان.
(٦) رواه الطيالسي.

في ليلة القدر: « ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء »[١]، وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: « إني رأيت ليـلة القدر/فأنسيتها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي طلقة بلجة لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها ».

فصل

اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة أو هي من خصائص هذه الأمة؟ فقال الزهري: حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمار النـاس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أُمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر[٢]، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، **وقيل**: إنها كانت في الأمم الماضين كما هي في امتنا، ثم هي باقية إلى يوم القيامة وفي رمضان خـاصة لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة، وترتجى في جميع الشهور على السواء، وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال: (باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضـان)، ثم روى بسنده عن عبدالله بن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر؟ فقال: هي في كل رمضان »[٣]، وقد حكي عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالي.

فصل

ثم قد قيل: إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان، وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة، وهو قول الشافعي، ويحكى عن الحسن البصري، ووجهوه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قـال الله تعالى فيه: (يوم الفرقان). **وقيل**: ليلة تسع عشرة، يحكى عن علي وابن مسعود، **وقيل**: ليلة إحدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأول من رمضان، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط، فاعتكفنا معه، فأتا جبريل فقال: الذي تطلب أمامك، ثم قـام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان، فقال: « من كان اعتكف معي فليرجع فإني رأيت ليلة القدر، وإني أنسيتها وإنها في العشر الأواخر في وتر، وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء »، وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قزعة، فمطرنا فصلّى بنا النبي ﷺ، حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه في صبح إحدى وعشرين »[٤]. قال الشافعي: وهذا الحديث أصح الروايات، **وقيل**: ليلة ثلاث وعشرين، **وقيل**: تكون ليـلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبدالله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « التمسوها في العشر الأواخر من

(١) أخرجه الطيالسي.
(٢) أخرجه مالك.
(٣) أخرجه أبو داود.
(٤) أخرجه الشيخان.

رمضان في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى »[١] فسره كثيرون بليالي الاوتار، وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الأشفاع . **وقيل**: إنها تكون ليلة سبع وعشرين، لما رواه مسلم في صحيحه عن أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين، قال الإمام أحمد: عن زر: سألت أُبي بن كعب قلت: أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، قال: يرحمه الله لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف، قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم لاشعاع لها يعني الشمس[٢]. وهو قول طائفة من السلف، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً، **وقيل**: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين، روى الإمام أحمد بن حنبل عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: « في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فإنها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة »[٣]. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: « إنها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى »[٤]. **وقيل**: إنها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث آنفاً، ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: « في تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر »[٥]. وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر: « إنها آخر ليلة ».

فصل

قال الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له: أنلتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول: « نعم »، وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل، وروي عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر؛ وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة هو الأشبه، والله اعلم. وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله ﷺ: « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها، فليتحرها في السبع الأواخر »[٦]. وفيهما أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان »[٧]. ويحتج الشافعي أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه

(١) خرجه البخاري.
(٢) خرجه أحمد ورواه مسلم بنحوه.
(٣) خرجه أحمد.
(٤) خرجه أحمد.
(٥) أخرجه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٦) أخرجاه في الصحيحين.
(٧) أخرجه الشيخان، واللفظ للبخاري.

عن عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة »[1]. وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط، اللهم إلا أن يقال إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط، وقوله: « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » فيه استئناس لما يقال: إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع، كما جاء في الحديث: « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » وقوله: « فرفعت » أي رفع علم تعيينها لكم، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود، كما يقوله جهلة الشيعة، لأنه قد قال بعد هذا: « فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة »، وقوله: « وعسى أن يكون خيراً لكم » يعني عدم تعيينها لكم فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها، فكان أكثر للعبادة بخلاف ما إذا علموا عينها، فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط، وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عزَّ وجلَّ، ثم اعتكف أزواجه بعده. عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[2]. وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وشد المئزر، ولمسلم عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره، وهذا معنى قولها وشد المئزر، **وقيل**: المراد بذلك اعتزال النساء، ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين لما رواه الإمام أحمد، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره، واعتزل نساءه، وقد حكي عن مالك رحمه الله أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء، لا يترجح منها ليلة على أخرى، والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر، والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، لما رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن بريدة أن عائشة قالت: يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: « قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني »[3].

[آخر تفسير سورة ليلة القدر. ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجاه في الصحيحين.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٩٨) سورة البينة مدنية وآياتها ثمان

عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ لأُبيّ بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ »قال: وسماني لك؟ قال: «نعم»، فبكى[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى. والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب ومن العجم، قال مجاهد: لم يكونوا ﴿منفكين﴾ يعني منتهين حتى يتبين لهم الحق ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ أي هذا القرآن. ولهذا قال تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾ ثم فسر البينة بقوله: ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ يعني محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتتب في الملأ الأعلى في صحف مطهرة، كقوله تعالى: ﴿في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة﴾. وقوله تعالى: ﴿فيها كتب قيمة﴾ قال ابن جرير: أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة. ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عزَّ وجلَّ، قال قتادة ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ يذكر القرآن بأحسن الذكر. ويثني عليه بأحسن الثناء. وقال ابن زيد: ﴿فيها كتب قيمة﴾ مستقيمة معتدلة. وقوله تعالى: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ كقوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾. يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا. بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافاً كبيراً، كما جاء في الحديث المروي من طرق: «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلفوا على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»، وقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ كقوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدونِ﴾، ولهذا قال: ﴿حنفاء﴾ أي متحنفين من الشرك إلى التوحيد، كقوله: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾، وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الأنعام بما أغنى عن إعادته هاهنا، ﴿ويقيموا الصلاة﴾ وهي أشرف عبادات البدن، ﴿ويؤتوا الزكاة﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج ﴿وذلك دين القيمة﴾ أي الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفرة أهل الكتاب والمشركين، المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة، أنهم يوم القيامة في نار جهنم ﴿خالدين فيها﴾ أي ماكثين فيها لا يحولون عنها ولا يزولون، ﴿أولئك هم شر البرية﴾ أي شر الخليقة التي برأها الله وذرأها، ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله: ﴿أولئك هم خير البرية﴾، ثم قال تعالى: ﴿جزاؤهم عند ربهم﴾ أي يوم القيامة ﴿جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم القيم ﴿ورضوا عنه﴾ فيما منحهم من الفضل العميم، وقوله تعالى: ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه، ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «رجل في ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، «ألا أخبركم بخير البرية»؟ قالوا: بلى، قال: «الذي يسأل بالله ولا يعطي به»(١).

[آخر تفسير سورة البينة ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد.

(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ثمان

روى الترمذي عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن»[١]. وعن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحـد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن»[٢]. وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت، يا فلان؟» قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج، قال: «أليس معك قل هو الله أحد؟» قال: بلى، قال: «ثلث القرآن»، قال: «أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن» قال: «أليس معك قل يا أيها الكافرون؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن» قال: «أليس معك إذا زلزلت الأرض؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن، تزوج»[٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

قال ابن عباس ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾: أي تحركت من أسفلها ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ يعني ألقت ما فيها من الموتى، كقوله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾، وكقوله: ﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾، وفي الحديث: «تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هـذا قتلت. ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونـه

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: غريب.

(٣) أخرجه الترمذي أيضاً، وقال: حديث حسن.

فلا يأخذون منه شيئاً ﴾[١]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وقال الإنسان مالها ﴾ أي استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها، من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا لله الواحد القهار، وقوله تعالى: ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ قال: « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها »[٢]. وفي معجم الطبراني: « تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة »[٣] وقوله تعالى: ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها، وكذا قال ابن عباس ﴿ أوحى لها ﴾ أي أوحى إليها، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها، وقال ابن عباس: ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ قال، قال لها ربها قولي، فقالت؛ وقال مجاهد ﴿ أوحى لها ﴾ أي أمرها، وقال القرظي: أمرها أن تنشق عنهم، وقوله تعالى: ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ﴾ أي يرجعون عن موقف الحساب ﴿ أشتاتاً ﴾ أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار، قال ابن جريج: يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم، وقال السدي ﴿ أشتاتاً ﴾ فرقاً.

وقوله تعالى: ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ أي ليجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر، ولهذا قال: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾. روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر » الحديث. فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر ؟ فقال: « ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ »[٤]. وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال: حسبي أن لا أسمع غيرها[٥]، وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً: « اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة »، وله أيضاً في الصحيح: « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط »[٦]. وفي الصحيح أيضاً: « يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة »[٧] يعني ظلفها، وفي الحديث الآخر: « ردوا السائل ولو بظلف محرق ». وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: « يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان »[٨]. وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت: كم فيها من مثقال ذرة، وروى ابن جرير

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي.
(٣) أخرجه الحافظ الطبراني.
(٤) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري.
(٥) أخرجه أحمد والنسائي.
(٦) أخرجه البخاري.
(٧) أخرجه البخاري أيضاً.
(٨) أخرجه أحمد.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر»؟ قال: يبكيني هذه السورة، فقال له رسول الله ﷺ: «لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»(١).

وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغّبهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾(٢) يعني وزن أصغر النمل ﴿خيراً يره﴾ يعني في كتابه ويسره ذلك قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً بكل واحدة عشراً ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة. وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها(٣)

[آخر تفسير سورة إذا زلزلت. ولله الحمد والمنة]

***

(١) أخرجه ابن جرير.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

(١٠٠) سورة العاديات مكية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله، فعدت وضبحت، وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو، ﴿ فالموريات قدحاً﴾ يعني اصطكاك نعالها للصخر، فتقدح منه النار، ﴿ فالمغيرات صبحاً﴾ يعني الإغارة وقت الصباح كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويستمع الاذان، فإن سمع أذاناً وإلا أغار، وقوله تعالى: ﴿ فأثرن به نقعاً﴾ يعني غباراً في مكان معترك الخيول، ﴿ فوسطن به جمعاً﴾ أي توسطن ذلك المكان كلهن جمع، روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: بينا أنا في الحجر جالساً جاءني رجل فسألني عن: ﴿ العاديات ضبحاً﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم، فانفتل عني، فذهب إلى علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم، فسأله عن العاديات ضبحاً، فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي، فلما وقف على رأسه، قال: أتفتي الناس بما لا علم لك؟ والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى، وفي لفظ: إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران »[١]، فمذهب ابن عباس أنها الخيل[٢]، وقال (علي) إنها الإبل. قال عطاء: ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب، وقال عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح، وقال أكثر هؤلاء في قوله: ﴿ فالموريات قدحاً﴾ يعني

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) وإلى قول ابن عباس ذهب جمهور المفسرين، منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة واختاره ابن جرير.

بحوافرها، وقيل: أسعرت الحرب بين ركبانهن، وقيل: هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل، وقيل: المراد بذلك نيران القبائل، قال ابن جرير: والصواب الأول: الخيل حين تقدح بحوافرها، وقوله تعالى: ﴿ فالمغيرات صبحاً ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني إغارة الخيل صبحاً في سبيل الله، وقال: من فسرها بالإبل هو الدفع صبحاً من المزدلفة إلى منى، وقالوا كلهم في قوله: ﴿ فأثرن به نقعاً ﴾ هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو، وقوله تعالى: ﴿ فوسطن به جمعاً ﴾ قال ابن عباس وعطاء: يعني جمع الكفار من العدو. ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعاً ويكون منصوباً على الحال المؤكدة، وقوله تعالى: ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ هذا هو المقسم عليه، بمعنى أنه لنعم ربه لكفور جحود، قال ابن عباس ومجاهد: الكنود الكفور. قال الحسن: الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه، وقوله تعالى: ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ قال قتادة والثوري: وإن الله على ذلك لشهيد، ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد، أي بلسان حاله، أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى: ﴿ شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ أي وإنه لحب الخير وهو المال ﴿ لشديد ﴾، وفيه مذهبان: (**أحدهما**): أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال، (**والثاني**) وإنه لحريص بخيل من محبة المال، وكلاهما صحيح، ثم قال تبارك وتعالى مزهداً في الدنيا، ومرغباً في الآخرة، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال، وما يستقبله الإنسان من الأهوال ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ؟ ﴾ أي أخرج ما فيها من الأموات، ﴿ وحصّل ما في الصدور ﴾ يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم، ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة.

[آخر تفسير سورة العاديات ، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١٠١) سُورَةُ القَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ
ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَاهِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

القارعة من أسماء يوم القيامة، كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك. ثم قال تعالى معظماً أمرها ومهولاً لشأنها ﴿وما أدراك ما القارعة﴾؟ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث، كما قال تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾، وقوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ يعني صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق، قال مجاهد: ﴿العهن﴾ الصوف، ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم، فقال: ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ أي رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فهو في عيشة راضية﴾ يعني في الجنة، ﴿وأما من خفت موازينه﴾ أي رجحت سيئاته على حسناته، ﴿فأمه هاوية﴾ **قيل**: معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم، وعبّر عنه بأمه يعني (دماغه)، قال قتادة: يهوي في النار على رأسه، **وقيل**: معناه فأمه التي يرجع إليها ويصير في المعاد إليها ﴿هاوية﴾ وهي اسم من أسماء النار، قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها، وقال ابن زيد: الهاوية النار هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿ومأواهم النار﴾. وروي عن قتادة أنه قال: هي النار وهي مأواهم، ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية: ﴿وما أدراك ما هيه * نار حامية﴾، روى ابن جرير عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: روّحوا أخاكم، فإنه كان في غم الدنيا. قال: ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول: مات أوما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية[1]، وقوله تعالى: ﴿نار حامية﴾ أي حارة شديدة الحر، قوية اللهب والسعير، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية؟ فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً»[2]. وفي رواية: «كلهن مثل حرها». وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»[3]. وروى الترمذي وابن ماجة، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة»[4]. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها»[5]. وفي الصحيحين: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم».

[آخر تفسير سورة القارعة. ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن جرير.

(٢) أخرجه مالك ورواه البخاري ومسلم بنحوه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

(٤) أخرجه الترمذي وابن ماجة.

(٥) أخرجاه في الصحيحين.

(١٠٢) سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها، عن زيد بن أسلم قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿أَلهاكم التكاثر﴾ عن الطاعة، ﴿حتى زرتم المقابر﴾ حتى يأتيكم الموت[1]. وقال الحسن البصري: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ في الأموال والأولاد، وعن أُبيّ بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ يعني: «لو كان لابن آدم واد من ذهب»[2]. وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿ألهاكم التكاثر﴾ يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»[3]. وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدّق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»[4]. وروى البخاري عن أنَس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[5]. وعن أنَس أن النبي ﷺ قال: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل»[6]. وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس أنه رأى في يد رجل درهماً فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر. أو ابتغاء شكر، ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمال لك

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري في الرقاق.

(٣) أخرجه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي.

(٤) تفرد به مسلم.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(٦) أخرجاه في الصحيحين.

وقال ابن بريدة : نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار (بني حارثة) و (بني الحارث) تفاخروا وتكاثروا ، فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان بن فلان وفلان، وقال الآخرون: مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين، تقول: فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور ، ومثل فلان . وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله: ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾[١] لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل، وقال قتادة: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، حتى صاروا من أهل القبور كلهم، والصحيح أن المراد بقوله: ﴿ زرتم المقابر ﴾ أي صرتم إليها ودفنتم فيها ، كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده، فقال « لا بأس طهور إن شاء الله » ، فقال، قلت: طهور، بل هي حمى تفور، على شيخ كبير ، تزيره القبور ، قال: « فنعم إذن » . وعن ميمون بن مهران قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر ﴾ فلبث هنيهة ثم قال: يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله، يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى جنة أو إلى نار ، وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلاً يتلو هذه الآية: ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ فقال: بعث اليوم ورب الكعبة، أي أن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره، وقوله تعالى: ﴿ كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون ﴾ قال الحسن البصري هذا وعيد بعد وعيد، وقال الضحّاك ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ يعني أيها الكفار ، ﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ يعني أيها المؤمنون، وقوله تعالى : ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴾ أي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال: ﴿ لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿ كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون ﴾ توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار ، التي إذا زفرت زفرة واحدة، خرّ كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه ، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته . روى ابن جرير ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: « ما اجلسكما ههنا ؟ » ، قالا : والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع ، قال: « والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره » ، فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار ، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي ﷺ: « أين فلان ؟ » فقالت : ذهب يستعذب لنا ماء، فجاء صاحبهم يحمل قربته ، فقال: مرحباً ما زار العباد شيء أفضل من نبي زارني اليوم، فعلق قربته بكرب نخلة، وانطلق فجاءهم بعذق، فقال النبي ﷺ: « ألا كنت اجتنيت » ، فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة، فقال له النبي ﷺ: « إياك والحلوب » فذبح لهم يومئذ ، فأكلوا فقال النبي ﷺ: « لتسألن عن هذا يوم القيامة أخرجكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم »[٢] . وروى الإمام أحمد عن جابر ابن عبدالله قال: أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطباً وشربوا ماء، فقال رسول الله ﷺ : « هذا من النعيم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه ابن جرير ورواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة بنحوه .

الذي تسألون عنه »[1] . وروى الإمام أحمد عن محمود بن الربيع قال: لما نزلت ﴿ألهاكم التكاثر﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قالوا : يا رسول الله عن أي نعيم نسأل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر ، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر ، فعن أي نعيم نسأل ؟ قال : « أما إن ذلك سيكون »[2] .

وروى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ : « إن أول ما يسأل عنه العبد من النعيم، أن يقال له ألم نصحّ لك بدنك، ونروك من الماء البارد »[3] ؟ وروى ابن أبي حاتم، عن عبدالله بن الزبير قال، قال الزبير : لمّا نزلت ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قالوا : يا رسول الله لأي نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ قال: « إن ذلك سيكون »[4] . وفي رواية عن عكرمة: قالت الصحابة : يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه ؟ وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحى إلى نبيّه ﷺ : قل لهم : أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم . وعن ابن مسعود مرفوعاً : « الأمن والصحة » . وقال زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ : ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ يعني شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق ولذة النوم، وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا، وقال الحسن البصري: من النعيم الغداء والعشاء ، وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال، وقال ابن عباس: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ . وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ »[5] . ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون .

[آخر تفسير سورة التكاثر . ولله الحمد والمنة]

* * *

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي .

(٢) أخرجه أحمد .

(٣) أخرجه الترمذي وابن حيان .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه الترمذي وابن ماجة .

(٥) أخرجه البخاري .

(١٠٣) سورة العصر مكية
وآياتها ثلاث

ذكر الطبراني عن عبيد الله بن حفص قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وقال زيد بن أسلم: هو العصر، والمشهور الأول، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وتواصوا بالحق﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أي على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي، ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

[آخر تفسير سورة العصر، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١٠٤) سورة الهمزة مكية وآياتها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾
فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

الهماز بالقول، واللماز بالفعل، يعني يزدري الناس وينتقص بهم، قال ابن عباس: ﴿همزة لمزة﴾ طعان معياب، وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمزه في وجهه، واللمزة: من خلفه، وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان؛ ثم قال بعضهم: المراد بذلك (الأخنس بن شريق)، وقال مجاهد: هي عامة. وقوله تعالى: ﴿الذي جمع مالاً وعدّده﴾ أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى: ﴿وجمع فأوعى﴾ قال محمد بن كعب: ألهاه ماله بالنهار، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة، وقوله تعالى: ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار، ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، ثم قال تعالى: ﴿لينبذن في الحطمة﴾ أي ليلقين هذا الذي جمع مالاً فعدده ﴿في الحطمة﴾ وهي اسم من أسماء النار، لأنها تحطم من فيها، ولهذا قال: ﴿وما أدراك ما الحطمة؟ نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة﴾ قال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده، وقوله تعالى: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد. وقوله تعالى: ﴿في عمد ممددة﴾ أي عمد من حديد، وقال السدي: من نار، قال ابن عباس: ﴿في عمد ممددة﴾ يعني الأبواب هي الممددة، وعنه: أدخلهم في عمد ممددة عليهم بعماد، في أعناقهم السلاسل، فسدت بها الأبواب[1]، وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار، واختاره ابن جرير، وقال أبو صالح: ﴿في عمد ممددة﴾ يعني القيود الثقال.

[آخر تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة. ولله الحمد والمنة]

---

(١) هذه رواية العوفي عن ابن عباس والأولى رواية عكرمة عنه.

(١٠٥) سُورَةُ الفِيلِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش ، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله ، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة ، هذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار . يروى أن أبرهة الأشرم بنى كنيسة هائلة بصنعاء، رفيعة البناء عالية الفِناء مزخرفة الأرجاء، سمتها العرب (القليس) لارتفاعها، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها، وعزم أبرهة على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب ذلك، وغضبت قريش، لذلك غضباً شديداً، حتى قضدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها، فأحدث فيها وكرّ راجعاً، فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم (أبرهة) وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به ، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجراً حجراً، وذكر مقاتل أن فتية من قريش دخلوها، فأججوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت، فتأهب أبرهة لذلك، وصار في جيش كثيف عرمرم لئلا يصده أحد عنه، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة لم ير مثله ، يقال له (محمود)، ويقال: كان معه اثنا عشر فيلاً غيره، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً . ورأوا أن حقاً عليهم المحاجبة دون البيت، ورد من أراده بكيد، فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له (ذو نفر) فدعا قومه إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله، فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم. ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له (نفيل بن حبيب) الخثعمي في قومه فقاتلوه ، فهزمهم أبرهة وأسر نفيل بن حبيب، فأراد قتله ثم عفا عنه، واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز ، فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات، فأكرمهم وبعثوا معه (أبا رغال) دليلاً. فلما انتهى أبرهة إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به. وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها.

فأخذوه، وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب، وبعث أبرهة حناطة الحِمْيَري إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تصدُّوه عن البيت، فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلي بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال له حناطة : فاذهب معي إليه، فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجلّه – وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً حسن المنظر – ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك ؟ فقال للترجمان: إن حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه: قل له : لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتهالك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيب رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك، ويقال : إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، ورد أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش، فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرون على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

اللهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم أبداً محالك

ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال . وذكر مقاتل أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة ، لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق فينتقم الله منهم، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة، برك الفيل، وخرج (نفيل بن حبيب) يشتد حتى صعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم، فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مراقه، فنزعوه بها ليقوم، فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق، ويسألون عن (نفيل) ليدلّهم على الطريق، هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش، وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة ، وجعل نفيل يقول :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وذكر الواقدي بإسناده: أنهم لما تعبأوا لدخول الحرم، وهيأوا الفيل جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها، فإذا وجهوه إلى الحرم ربض وصاح، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم، وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون، وماذا

يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجاب، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ﴿ طيراً أبابيل ﴾ أي قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام وأرجلها حمر، ومع كل طائر ثلاثة أحجار، وجاءت فحلّقت عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا، قال عطاء: ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً، وهم هاربون، وكان أبرهة ممن تساقط عضواً عضواً حتى مات ببلاد خثعم، قال ابن إسحاق: فلما بعث الله محمداً ﷺ، كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عليهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال: ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ إلى قوله: ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾، وقوله: ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم * رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾. قال ابن هشام: « الأبابيل » الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال: وأما « السجيل » فأخبرني يونس النحوي أنه عند العرب الشديد الصلب. « والعصف » ورق الزرع الذي لم يقضب واحدته عصفة. انتهى ما ذكره. وقال ابن عباس والضحّاك: أبابيل يتبع بعضها بعضاً، وقال الحسن البصري وقتادة: الأبابيل الكثيرة، وقال مجاهد « أبابيل » شتى متتابعة مجتمعة، وقال ابن زيد: « الأبابيل » المختلفة تأتي من ههنا، ومن ههنا، أتتهم من كل مكان، وقال عكرمة: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع.

وعن ابن عباس ومجاهد: كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب، وقال عبيد بن عمير: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليه وحجراً في منقاره، قال: فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً. وقال ابن عباس ﴿ حجارة من سجيل ﴾ قال: طين في حجارة.

وقوله تعالى: ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني التبن الذي تسميه العامة هبور، وقال ابن عباس: العصف القشرة التي على الحبة كالغلاف على الحنطة، وقال ابن زيد: العصف ورق الزرع، وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته فصار دريناً، المعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمّرهم وردهم بكيدهم وغيظهم، لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح، كما يروى لأمية بن أبي الصلت ابن ربيعة قوله:

إن آيات ربنا باقيات ... ما يماري فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل ... مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم ... بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمّس حتى ... صار يحبو كأنه معقور
خلّفوه ثم ابذعرّوا جميعاً ... كلهم عظم ساقه مكسور
كل دِين يوم القيامة عند الله إلا دِين الحنيفة بور

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش بركت ناقته، فزجرها فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، أي حرنت، فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم إليها»، ثم زجرها فقامت[1]. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن الله حبس عن مكة الفيل وسلّط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فيبلغ الشاهد الغائب».

[آخر تفسير سورة الفيل، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١٠٦) سورة قريش مكية
وآياتها أربع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) وإن كانت متعلقة بما قبلها، كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد، لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله ﴿لإيلاف قريش﴾ أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين، **وقيل**: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم، لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم ومن سار معهم أمن بهم، وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى: ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم﴾ بدل من

(١) الحديث أخرجه البخاري.

الأول ومفسر له ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ وقال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك، قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان، ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت﴾ أي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً، كما قال تعالى: ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها﴾ وقوله تعالى: ﴿ الذي أطعمهم من جوع﴾ أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿ وآمنهم من خوف﴾ أي تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً، ولهذا من استجاب لهذا الأمر، جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ . عن أُسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف »[1] .

[آخر تفسير سورة لإيلاف قريش . ولله الحمد والمنة]

* * *

(١٠٧) سورة الماعون مكية وآياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى : ﴿ أرأيت ﴾ يا محمد ﴿ الذي يكذب بالدين﴾ وهو المعاد والجزاء والثواب ﴿ فذلك الذي يدع

(١) قال ابن كثير : صوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن (أم سلمة) الأنصارية رضي الله عنها ، لا عن أُسامة بن زيد ولعله وقع خطأ في النسخة أو في أصل الرواية .

اليتيم﴾ أي هو الذي يقهر اليتيم ولا يطعمه ولا يحسن إليه ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ كقوله ﴿ولا تحاضون على طعام المسكين﴾، ثم قال تعالى: ﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال ابن عباس: يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية، ولا يصلون في السر، ولهذا قال: ﴿للمصلين﴾ الذين هم من أهل الصلاة ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، أو يخرجها عن وقتها، وقال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ ولم يقل ﴿في صلاتهم ساهون﴾ فيؤخرونها إلى آخر الوقت، أو لا يؤدونها بأركانها وشروطها عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»[(١)]. فهذا أخّر صلاة العصر التي هي الوسطى - كما ثبت به النص - إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضاً، ولهذا قال: «لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» ولعله إنما حمله على القيام إليها مراءاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يصل بالكلية، قال الله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾، وقال تعالى ههنا: ﴿الذين هم يراؤون﴾، وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم لوادياً تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة، أعدّ ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد: لحامل كتاب الله، وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله»[(٢)] وروى الإمام أحمد عن عمرو بن مرة قال: كنا جلوساً عند أبي عبيدة، فذكروا الرياء، فقال رجل يكنى بأبي يزيد: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سمّع الناس بعمله سمّع الله به سامع خلقه وحقّره وصغّره»[(٣)]. ومما يتعلق بقوله تعالى: ﴿الذين هم يراؤون﴾ أن من عمل عملاً لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك أن هذا لا يعد رياء، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي، فدخل عليّ رجل، فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله ﷺ فقال: «كتب لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية»[(٤)]. وفي رواية عنه قال، قال رجل: يا رسول الله! الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال، قال رسول الله ﷺ: «له أجران: أجر السر وأجر العلانية»[(٥)]. وعن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»[(٦)]. قلت: وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية، ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعاً، أو تأخيرها عن أول الوقت.

وقوله تعالى: ﴿ويمنعون الماعون﴾ أي لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى. وقد قال مجاهد ﴿الماعون﴾ الزكاة، وقال الحسن البصري: إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله، وفي لفظ: صدقة ماله. وقال

(١) أخرجه الشيخان.
(٢) أخرجه الطبراني.
(٣) أخرجه أحمد.
(٤) أخرجه الحافظ الموصلي.
(٥) أخرجه الترمذي والطيالسي وأبو يعلى الموصلي.
(٦) أخرجه ابن جرير الطبري.

زيد بن أسلم: هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها، وخفيت الزكاة فمنعوها . وسئل ابن مسعود عن الماعون ؟ فقال: هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك، وقال ابن جرير ، عن عبد الله قال: « كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن » ، ولفظ النسائي عن عبدالله قال: كل معروف صدقة، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر ، وعن ابن عباس: ﴿ويمنعون الماعون﴾ يعني متاع البيت، وكذا قال مجاهد والنخعي انها العارية للأمتعة ، وقد اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يمنعون الزكاة ، ومنهم من قال: يمنعون الطاعة، ومنهم من قال: يمنعون العارية، وعن علي: الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو ، وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والإبرة، وهذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة، ولهذا جاء في الحديث: « كل معروف صدقة » .

[آخر تفسير سورة الماعون . ولله الحمد والمنة]

* * *

(١٠٨) سورة الكوثر مكية وآياتها ثلاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً قلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال: « لقد أنزلت عليَّ آنفاً سورة » فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصلِّ لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر﴾، ثم قال: « أتدرون ما الكوثر ؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك »[1] ، وقد استدل كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، فأما قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ فقد

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي .

تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة، وقـد رواه الإمام أحمد عن أنس أنه قرأ هذه الآية: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قال، قال رسول الله: «أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقا، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي في تربته، فإذا مسك أذفر، وإذا حصباؤه اللؤلؤ»[(١)]. وعن أَنَس بن مالك قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهر حافتـاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»[(٢)]. وروى ابن جرير، عن أنَس بن مالك قال: لما أسري برسول الله ﷺ مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد، فذهب يشم ترابه، فإذا هو مسك، قال: «يا جبريل ما هذا النهر؟» قال: هو الكوثر الذي خبأ لك ربك؛ وفي رواية عن أَنَس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر؟ فقال: «هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر»، قال أبو بكر: يا رسول الله إنها لناعمة؟ قال: «آكلها أنعم منها». وقال البخاري: حدَّثنا خالد بن يزيد الكاهلي. حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم»[(٣)]. وعن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف، وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عـدد نجوم السماء، وعن مسروق قال، قلت لعائشة: يا أُم المؤمنين حدِّثيني عن الكوثر؟ قالت: نهر في بطنان الجنة، قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك، وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت[(٤)].

وقال البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قـال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[(٥)]. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير، وهذا التفسير يعم النهر وغيره، لإن الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد، حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة، وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً، فقال ابن جرير: عن ابن عباس قال: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل». وعن ابن عمر أنه قال: الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل[(٦)]. وقد روي مرفوعاً فقـال الإمام أحمد: عن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»[(٧)]. وروى ابن جرير عن عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر. قلت: حدثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير، فقال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه البخاري.
(٤) أخرجه ابن جرير.
(٥) أخرجه البخاري.
(٦) أخرجه الترمذي موقوفاً.
(٧) رواه الترمذي وبن ماجة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

صدق الله إنه للخير الكثير ؛ ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قال رسول الله ﷺ: « الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر والياقوت » . وهكذا روي عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة، وقال عطاء: هو حوض في الجنة .

وقوله تعالى: ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾ أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة، ونحرك فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ قال ابن عباس: يعني بذلك نحر البدن ونحوها، **وقيل**: المراد بقوله: ﴿وانحر﴾ وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر، **وقيل**: ﴿وانحر﴾ أي استقبل بنحرك القبلة، والصحيح القول الأول: أن المراد بالنحر ذبح المناسك، ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول: « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » الحديث . قال ابن جرير: والصواب قول من قال: إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً، دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له وخصك به، وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقوله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أي إن مبغضك يا محمد . ومبغض ما جئت به من الهدى والحق، والبرهان الساطع والنور المبين ﴿هو الأبتر﴾ الأقل الأذل المنقطع ذكره، قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في العاص ابن وائل، وقال يزيد بن رومان: قال، كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله هذه السورة، **وقيل**: **نزلت** في عقبة بن أبي معيط، وقال عطاء: نزلت في (أبي لهب) وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ، فذهب أبو لهب إلى المشركين، فقال: بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾، وعن ابن عباس: نزلت في (أبي جهل) وعنه ﴿إن شانئك﴾ يعني عدوك، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم . وقال عكرمة: الأبتر الفرد، وقال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل، قالوا: بتر، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ، قالوا: بتر محمد، فأنزل الله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره، وحاشا وكلا، بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم المحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد .

[آخر تفسير سورة الكوثر . ولله الحمد والمنة]

* * *

(١٠٩) سورة الكافرون مكية وآياتها ست

ثبت في صحيح مسلم، عن جابر، أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، وبقل هو الله أحد، في ركعتي الطواف[١]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن، وروى الطبراني أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ حتى يختمها[٢]، وعن الحارث بن جبلة قال، قلت: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامي، قال: «إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿يا أيها الكافرون﴾ فإنها براءة من الشرك»[٣]، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

هذه سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، فقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن الموجهون بهذا الخطاب هم (كفار قريش) دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ يعني من الأصنام والأنداد، ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ وهو الله وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ولهذا قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه، في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، ولهذا كان كلمة الإسلام «لا إلـه إلا الله محمد رسول الله» أي لا معبود إلا الله، ولا

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني.

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن الله بها. ولهذا قال: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾، كما قال تعالى: ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم﴾، وقال: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾، وقال البخاري ﴿لكم دينكم﴾ الكفر، ﴿ولي دين﴾ الإسلام، ولم يقل: ديني، لأن الآيات بالنون فحذف الياء. كما قال: ﴿فهو يهدين﴾ ﴿ويشفين﴾. وقال غيره: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ الآن ولا أجيبكم بما بقي من عمري ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾، ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله: ﴿فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً﴾ فهذه ثلاثة أقوال: **أولهما**: ما ذكرناه أولاً. **الثاني**: ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: ﴿لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في الماضي ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في المستقبل. **الثالث**: أن ذلك تأكيد محض. وثمّ قول رابع: نصره ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية، ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ نفي قبوله لذلك بالكلية، لأن النفي بالجملة الإسمية آكد، فكأنه نفى الفعل، وكونه قابلاً لذلك، ومعناه نفي الوقوع، ونفي الإمكان الشرعي أيضاً، وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.

[آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون. ولله الحمد والمنة]

* * *

(١١٠) سورة النصر مدنية وآياتها ثلاث

روى **الحافظ أبو بكر البزار**، عن ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرحلت، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة[١]، وروى الحافظ البيهقي، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة، وقال: «إنه قد نعيت إليَّ نفسي» فبكت ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نعيت إليه نفسه، فبكيت، ثم قال: «اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي» فضحكت[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

روى **البخاري**، عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ فقال عمر بن الخطّاب: لا أعلم منها إلا ما تقول[٣]. وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال رسول الله ﷺ: «نعيت إليَّ نفسي»، وأنه مقبوض في تلك السنة، وهكذا قال مجاهد والضحّاك وغير واحد إنها أجل رسول الله ﷺ نعي إليه، وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختم السورة قال: نعيت

(١) أخرجه البزار والبيهقي.

(٢) أخرجه البيهقي ورواه النسائي بنحوه بدون ذكر فاطمة. (٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: « جاء الفتح ونصر الله، وجاء أهل اليمن »، فقال رجل: يا رسول الله وما أهل اليمن ؟ قال: « قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان والفقه يمان »[١]، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح: « لا هجرة ولكن جهاد ونية، ولكن إذا استنفرتم فانفروا »[٢]، فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون، أن نحمد الله ونشكره ونسبِّحه، يعني نصلِّي له ونستغفره، معنى مليح صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات، فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلداً أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات، وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن، وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله ﷺ روحه الكريمة، وأعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا فللآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال: ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾.

روى البخاري، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي » يتأول القرآن[٣]، وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه »، وقال: « إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أُمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً، فقد رأيتها ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ »[٤]. والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي[٥]. الحديث. وقال الإمام أحمد بسنده: حدَّثني جار لجابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر فجاءني (جابر بن عبد الله) فسلم عليَّ، فجعلت أحدِّثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وسيخرجون منه أفواجاً »[٦].

[آخر تفسير سورة النصر . ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه الطبراني والنسائي.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.
(٣) أخرجه البخاري وبقية الجماعة إلا الترمذي.
(٤) أخرجه أحمد ورواه مسلم بنحوه.
(٥) أخرجه البخاري.
(٦) أخرجه الإمام أحمد.

(١١١) سورة المسد مكية
وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

روى البخاري، عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش، فقال: « أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني ؟ » قالوا: نعم، قال: « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد »، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا ؟ تباً لك، فأنزل الله: ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ إلى آخرها[1] . وفي رواية: فقام ينفض يديه وهو يقول: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله: ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه، فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ، واسمه (عبد العزى بن عبد المطلب) وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والتنقص له ولدينه، روى الإمام أحمد عن أبي الزناد قال: أخبرني رجل يقال له (ربيعة بن عباد) من بني الديل وكان جاهلياً فأسلم قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فقالوا: هذا عمه أبو لهب »[2] . وقال محمد بن إسحاق، عن ربيعة بن عباد قال: إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ، ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة، يقف رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: « يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به » ، وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه، فقلت لأبي: من هذا ؟ قال

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه أحمد .

عمه أبو لهب[١]. فقوله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه، ﴿وتبّ﴾ أي وقد تبّ تحقق خسارته وهلاكه.

وقوله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ قال ابن عباس: ﴿وما كسب﴾ يعني ولده، يروى أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾. وقوله تعالى: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾ أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد، ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي (أم جميل) واسمها (أروى بنت حرب بن أمية) وهي أخت أبي سفيان، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، هي مهيأة لذلك مستعدة له، ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ قال مجاهد: من مسد النار، وعن مجاهد وعكرمة ﴿حمالة الحطب﴾ كانت تمشي بالنميمة[٢]. وقال ابن عباس والضحّاك: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ، وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنّها في عداوة محمد، فأعقبها الله منها حبلاً في جيدها من مسد النار، والمسد الليف، **وقيل**: هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعاً، قال الجوهري: المسد الليف، والمسد أيضاً حبل من ليف أو خوص، وقال مجاهد: ﴿حبل من مسد﴾ أي طوق من حديد، أخرج ابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لمّا نزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أقبلت العوراء (أم جميل) بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول:

مذمّماً أبيْنا — ودينه قليْنا — وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلتْ وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني»، وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولّت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها، قال: فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تعس مذمم[٣]. وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ أي في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها، ثم ترمى إلى أسفلها، ثم لا تزال كذلك دائماً.

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوّة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطناً ولا ظاهراً، لا سراً ولا علناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة، على النبوّة الظاهرة.

[آخر تفسير سورة المسد . ولله الحمد والمنة]

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني. (٢) واختاره ابن جرير. (٣) أخرجه ابن أبي حاتم.

(١١٢) سورة الإخلاص مكية وآياتها أربع

(ذكر سبب نزولها وفضلها)

عن أُبيّ بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : يا محمد انسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى: ﴿ قل هو الله أحدٌ * الله الصمدُ * لم يلد ولم يولدْ * ولم يكن له كفواً أحدٌ ﴾(١) ، زاد ابن جرير والترمذي، قال: ﴿ الصمد ﴾ الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عزَّ وجلَّ لا يموت ولا يورث، ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء .

حديث آخر في فضلها : روى البخاري، عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك النبي ﷺ فقال : « سلوه لأي شيء يصنع ذلك » ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن، وأنا أُحب أن أقرأ بها . فقال النبي ﷺ : « أخبروه أن الله تعالى يحبّه »(٢) .

حديث آخر : قال البخاري في كتاب الصلاة، عن أنَس رضي الله عنه قال :كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ بـه ، افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أُخرَى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة ، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك، حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأُخْرَى، فقال : ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر ، فقال: يا فلان « ما يمنعك أن تفعل ما يأمركَ به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » ؟ قال: إني أحبها، قال: « حبك إياها أدخلك الجنة »(٣) .

حديث آخر : قال البخاري، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة » ؟ فشق ذلك عليهم ، وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال: « الله الواحد الصمد ثلث القرآن »(٤) .

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن جرير .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة .

(٤) أخرجه البخاري .

حديث آخر : قال أحمد، عن أُبيّ بن كعب قال، قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن »[١] .

حديث آخر : عن أبي الدرداء رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال : « فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فقل هو الله أحد ثلث القرآن »[٢] .

حديث آخر : عن عبدالله بن حبيب قال : أصابنا عطش وظلمة ، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال : « قُلْ » فسكت، قال : « قُلْ » ، قلت : ما أقول ؟ قال : « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي ، وحين تصبح ثلاثاً . تكفيك كل يوم مرتين »[٣] .

حديث آخر : عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: « من قرأ قُل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة »، فقال عمر : إذاً نستكثر يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكثر وأطيب »[٤] .

حديث آخر ، في فضلها مع المعوذتين : عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ ، فابتدأته ، فأخذت بيده، فقلت: يا رسول الله بم نجاة المؤمن ؟ قال : « يا عقبة أخرس لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » قال : ثم لقيني رسول الله ﷺ فابتدأني ، فأخذ بيدي فقال: « يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم » ؟ قال، قلت : بلى، جعلني الله فداك ، قال : فأقرأني : ﴿ قل هو الله أحد – وقل أعوذ برب الفلق – وقل أعوذ برب الناس ﴾، ثم قال: « يا عقبة لا تنسهن ولا تبت ليلة حتى تقرأهن » قال : فما نسيتهن منذ قال لا تنسهن، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن، قال عقبة : ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده ، فقلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: « يا عقبة صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك »[٥] .

حديث آخر : في الاستشفاء بهن، قال البخاري، عن عائشة، ان النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما ، وقرأ فيهما: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٦] .

---

(١) أخرجه أحمد .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي .

(٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي .

(٤) رواه أحمد والدارمي .

(٥) رواه أحمد والترمذي .

(٦) أخرجه البخاري وأهل السنن .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

قال عكرمة : لما قالت اليهود : نحن نعبد عزير بن الله ، وقالت النصارى : نحن نعبد المسيح بن الله، وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر ، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿قل هو الله أحد﴾ يعني هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير ، ولا شبيه ولا عديل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله، وقوله تعالى: ﴿الله الصمد﴾ يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، قال ابن عباس : هو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، ليس له كفء وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار ، وقال الأعمش ﴿الصمد﴾ السيد الذي قد انتهى سؤدده، وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه ، وقال الحسن أيضاً ﴿الصمد﴾ الحي القيوم الذي لا زوال له، وقال الربيع بن أنَس : هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيراً له ، وهو قوله : ﴿لم يلد ولم يولد﴾ وهو تفسير جيد، وقال ابن مسعود والضحّاك والسدي: ﴿الصمد﴾ الذي لا جوف له ، وقال مجاهد ﴿الصمد﴾ المصمت الذي لا جوف له ، وقال الشعبي : هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب . وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد : وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عزَّ وجلَّ، هو الذي يصمد إليه في الحوائج ، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك، وقوله تعالى : ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة ، قال مجاهد: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ يعني لا صاحبة له ، وهذا كما قال تعالى : ﴿بديع السماوات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء﴾ أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه ؟ تعالى وتقدس وتنزه، قال تعالى: ﴿وقالوا: اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدًّا﴾ ، وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ . وفي صحيح البخاري: « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم »(١) . وفي الحديث القدسي : « كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته . وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد »(٢) .

[آخر تفسير سورة الإخلاص . ولله الحمد والمنة]

---

(١) أخرجه البخاري . (٢) أخرجه البخاري أيضاً .

(١١٣) سورة الفلق مكية وآياتها خمس

عن عقبة بن عامر قال، قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ »[١]. وروى الإمام احمد ، عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال لي: « يا عقبة ألا تركب ؟ » قال، فأشفقت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله ﷺ ، وركبت هنية ، ثم ركب ، ثم قال: « يا عقب، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » قلت: بلى يا رسول الله ، فأقرأني : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾، ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مر بي، فقال: « كيف رأيت يا عقب ، اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت »[٢] .

وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، وروى الإمام مالك، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات ، وأمسح بيده عليه رجاء بركتها[٣] . وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما[٤] .

بسم الله الرحمن الرحيم

١
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

قال ابن عباس ﴿ الفلق ﴾ : الصبح، وقال ابن جرير : وهي كقوله تعالى: ﴿ فالق الأصباح ﴾. وقال

(١) أخرجه مسلم والترمذي والنسائي .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي .

(٣) أخرجه مالك ورواه البخاري وأبو داود والنسائي .

(٤) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

ابن عباس : ﴿ الفلق ﴾ الخلق، أمر الله نبيّه أن يتعوذ من الخلق كله، وقال كعب الأحبار : ﴿ الفلق ﴾ بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، قال ابن جرير : والصواب القول، إنه فلق الصبح، وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رحمه الله تعالى، ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من شر جميع المخلوقات، قال الحسن البصري : جهم وإبليس وذريته ممـا خلق، ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ قال مجاهد ﴿ غاسق ﴾ الليل ﴿ إذا وقب » غروب الشمس[1] ، وقال الحسن وقتادة : إنه الليل إذا أقبل بظلامه، وقال الزهري: الشمس إذا غربت، وعن عطية وقتادة : ﴿ إذا وقب ﴾ الليل إذا ذهب، وقال أبو هريرة ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ الكوكب، قـال ابن جرير . وقال آخرون : هو القمر . قالت عائشة رضي الله عنها : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع ، وقال: « تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب »[2] ، ولفظ النسائي: « تعوذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب » ، قال الأولون: هذا لا ينافي قولنا، لأن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان إلّا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء إلا بالليل، فهو يرجع إلى ما قلناه ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ قال مجاهد وعكرمة : يعني السواحر ، قال مجاهد : إذا رقين ونفثن في العقد ، وفي الحديث : أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال اشتكيت يا محمد ؟ فقال: « نعم » ، فقال : باسم الله أرقيك ، من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك . ولعل هذا كان من شكواه ﷺ حين سحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه، ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم .

روى البخاري في كتاب الطب من صحيحه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ سحر ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ، ولا يأتيهن . قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال: « يا عائشة أعلمت أن الله قـد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَّ ، فقال الذي عنـد رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال: مطبوب، قال : ومن طبه ؟ قال (لبيد بن أعصم) رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقاً، قال: وفيم ؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين ؟ قال: في جف طلعة ذكر ، تحت راعوفة في بئر ذروان، ، قالت: فأتى البئر حتى استخرجه، فقال: « هذه بئر التي أُريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رؤوس الشياطين »، قال: فاستخرج، فقلت: أفلا تنشَّرت ؟ فقال: « أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من النـاس شراً »[3] . وروى الثعلبي في تفسيره . قـال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما : كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ . فدبت إليه اليهود . فلم يزالوا بـه حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ . وعدة من أسنان مشطه . فأعطاهـا اليهود فسحروه فيها . وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له (ابن أعصم) ثم دسهـا في بئر لبني زريق، يقال له ذروان، فمرض رسول الله ﷺ ، وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب، ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند

(١) حكاه البخاري عنه وهو قول ابن عباس والضحّاك .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣) أخرجه البخاري ورواه مسلم وأحمد بمثله .

رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طبَّ، قال: وما طب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: وبم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة، قال: وأين هو؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان، والجف قشر الطلع، والراعوفة حجر في أسفل البئر ناتيء يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله ﷺ: مذعوراً، وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي»، ثم بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر، كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين، الله يشفيك، فقالوا: يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن يثير على الناس شراً»[1]

* * *

(١١٤) سورة الناس مكية وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عزَّ وجلَّ: (الربوبية) و (الملك) و (الإلهية)، **فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه**، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزيّن له الفواحش. ولا يألوه

(١) قال ابن كثير: هكذا أورده الثعلبي بدون إسناد وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم.

جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله، وقد ثبت في الصحيح: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير». وثبت في الصحيحين «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً – أو قال – شراً»[1]. وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي، عن أَنَس بن مالك، قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس»[2]. وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب، قال ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس الخناس﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وقوله تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر، أو يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليباً، وقوله: ﴿من الجنة والناس﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ ثم بيّنهم فقال: ﴿من الجنة والناس﴾ وهذا يقوي القول الثاني، وقيل قوله: ﴿من الجنة والناس﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾، وكما قال الإمام أحمد عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال: «يا أبا ذر هل صليت؟» قلت: لا، قال: «قم فصل»، قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن». قال، فقلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: «نعم»[3]، وروى الإمام أحمد، عن ابن عباس قال، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشيء، لأن أخر من السماء أحب إليّ من أن أتكلم به، قال، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»[4]

[آخر التفسير، وقد تم والحمد لله رب العالمين]

❊ ❊ ❊

استدراك: الحديث الوارد عند قوله تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ من سورة البقرة ص ٢٢٦/ج١ وهو قوله ﷺ: «الأبدال في أُمتي ثلاثون، بهم ترزقون، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون» لم تشر النسخ المطبوعة والمخطوطة إلى ضعفه. وقد أرشدني **فضيلة الشيخ عبد الله ابن حميد الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام** إلى أن الحديث ضعيف وأنه قد وجد ذلك

---

(١) أخرجه الشيخان في قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف فلقيه رجلان فقال: «على رسلكما إنها صفية» الحديث.

(٢) أخرجه الحافظ الموصلي.

(٣) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة بلفظ أطول.

(٤) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي.

في نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم الشريف، وقد رجعت بنفسي إلى المخطوطة فوجدت النص التالي : « روى أبو بكر بن مردويه بسنده عن ثوبان – رفعَ الحديث – قال : لا يزال بكم سبعة تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله » . ثم ذكر بسنده عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ « لا يزال في أُمتي ثلاثون . بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون » قال قتادة : وإني لأرجو أن يكون الحسن منهم . وهذان الحديثان ضعيفان وإسناد كل منهما لا يثبت . هكذا ورد في النسخة المخطوطة ج ١ ص ٦٤٦ ومع ملاحظة الفرق بين اللفظين (الأبدال في أُمتي ثلاثون) في النسخة المطبوعة و (لا يزال في أُمتي ثلاثون) الخ في المخطوطة فقد رأينا التنبيه إلى ذلك **وشكر الله لفضيلة الشيخ بن حميد مسعاه ، وجزاه الله على إرشاده الكريم خير الجزاء** .

وكتبه محمد علي الصابوني

محتويات المجلّد الثالث

فهارس
مفصلة لأهم محتويات المجلدات الثلاثة

تفصيل محتويات المجلّد الأول

تفصيل محتويات المجلد الثاني

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
٥٢١	حديث يأجوج ومأجوج
٥٢٥	القرآن الكريم شفاء للذين آمنوا
٥٢٧	**تفسير سورة الحج**
٥٢٧	وصف أهوال يوم القيامة
٥٣٥	سبب نزول قوله تعالى « هذان خصمان اختصموا في ربهم »
٥٣٩	أذان سيدنا إبراهيم بالحج
٥٤٠	الأيام المعلومات
٥٤٣	تفسير قوله تعالى « ولكل أمة جعلنا منسكاً » الخ
٥٤٥	مسألة : في نحر الأضاحي
٥٤٦	سبب نزول قوله تعالى « أذن للذين يقـاتلون بأنهم ظلموا » الخ .
٥٥٠	قصة الغرانيق
٥٥٢	جزاء المهاجرين في سبيل الله تعالى
٥٥٨	**تفسير سورة المؤمنون**
٥٥٨	عشر آيات من أقامهن دخل الجنة
٥٦٠	بيانه تعالى عن ابتداء خلق الإنسان
٥٦٢	خلق السماوات السبع وتعداد بعض نعم الله تعالى على عباده
٥٦٨	عدله تعالى فيما شرعه لعباده
٥٧٠	عجز العباد واختلافهم في آرائهم وأهوائهم
٥٧٢	تقرير وحدانيته تعالى وتنزيهه
٥٧٤	حال المحتضر من الكافرين عند الموت
٥٨٠	**تفسير سورة النور**
٥٨٠	بيان بعض الحلال والحرام
٥٨٣	جَلْد القاذف للمحصنة
٥٨٤	ما جاء في اللعان
٥٨٧	عشر آيات نزلت في شأن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما (قصة الإفك)
٥٩٦	آداب شرعية إجتماعية أدَّب الله تعالى بها عباده المؤمنين
٦٠٢	آيات اشتملت على بعض الأحكام المحكمة

الصفحة	الموضوع
٦٠٤	ذكر بعض الآثار في ذلك
٦٠٥	تفسير قوله تعالى « الله نـور السماوات والأرض » الخ .
٦٠٧	الأمر ببناء المساجد وتعظيمها باعمارها بالعبادة
٦١١	نوعان من الكفار
٦١٣	صفات المنافقين
٦١٥	وعد الله تعالى لأمّة سيدنا محمد ﷺ
٦١٧	آداب إجتماعية يوجهها القرآن الكريم للأقارب فيما بينهم
٦١٩	رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض واختلاف المفسرين في ذلك
٦٢١	آداب أُخْرَى للمؤمنين
٦٢٣	**تفسير سورة الفرقان**
٦٢٤	سخافة عقول الجهلة الكفّار
٦٣٨	صفات عباد الرحمن
٦٤٣	**تفسير سورة الشعراء (وتسميتها سورة الجامعة)**
٦٤٤	قصة سيدنا موسى مع فرعون
٦٤٩	قصة سيدنا إبراهيم مع قومه
٦٥٢	قصة سيدنا نوح مع قومه
٦٥٣	قصة سيدنا هود مع قومه
٦٥٦	قصة سيدنا لوط مع قومه
٧٥٧	قصة سيدنا شعيب مع قومه
٦٦٥	**تفسير سورة النمل**
٦٦٧	إنعام الله تعالى على عبديه ونبييه « داوود » و« سليمان » عليهما السلام
٦٧٠	كتاب سيدنا سليمان إلى بلقيس
٦٧١	هدية بلقيس لسيدنا سليمان
٦٧٢	عرش بلقيس
٦٧٥	أخبار طغاة ثمود ورؤوسهم
٦٧٨	الله تعالى وحده هو المدعو عند الشدائد
٦٨٢	خبر الدابة التي تخرج في آخر الزمان

تفصيل محتويات المجلد الثالث

« تم ولله الحمد والمنة »

* * *

صدر

للشيخ محمد علي الصابوني

١ - **من كنوز السنّة**

« دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف »

٢ - **التبيان في علوم القرآن**

٣ - **النبوة والأنبياء**

« دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام المذكورين في القرآن »

٤ - **المواريث في الشريعة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنّة**

٥ - **روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (مجلدان)**

٦ - **شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ**

٧ - **رسالة الصلاة**

صدر عن دار القرآن الكريم

١ - **القرآن الكريم (قياس وسط)** طبعة فاخرة بالألوان والذهب ضمن علبة موزاييك فاخرة
٢ - **القرآن الكريم (قياس وسط)** طبعة فاخرة بالألوان والذهب تجليد فني فاخر مع علبة من نوع الغلاف
٣ - **القرآن الكريم (قياس وسط)** طبعة فاخرة بالألوان والذهب بمحفظة ذات سحاب.
٤ - **القرآن الكريم (قياس وسط)** طبعة فاخرة بلونين على ورق أبيض بمحفظة ذات سحاب.
٥ - **القرآن الكريم (قياس وسط)** طبعة فاخرة بلونين على ورق أصفر بمحفظة ذات سحاب.
٦ - **القرآن الكريم (قياس وسط)** طبعة فاخرة بلونين على ورق شاموا تجليد فني.
٧ - **القرآن الكريم (قياس وسط)** طبعة فاخرة بلونين مجلد بغلاف بلاستيك سكاي بلسان.
٨ - **القرآن الكريم (قياس جيب)** طبعة فاخرة بالألوان والذهب بمحفظة ذات سحاب.
٩ - **القرآن الكريم (قياس جيب)** طبعة فاخرة بالألوان والذهب تجليد فني فاخر.
١٠ - **القرآن الكريم (قياس كبير)** (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق شاموا تجليد فني
١١ - **ربع يس (قياس كبير)** (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق أبيض فاخر
١٢ - **العشر الأخير من القرآن الكريم (قياس كبير)** (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق أبيض فاخر
١٣ - **جزء تبارك (قياس كبير)** (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق أبيض فاخر
١٤ - **جزء عم (قياس كبير)** (طبعة الملك) بالرسم العثماني على ورق أبيض فاخر.
١٥ - **روائع البيان تفسير آيات الأحكام ١/٢** (مجلدان) للشيخ محمد علي الصابوني.
١٦ - **عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام** (مجلد) للشيخ إبراهيم القطان.
١٧ - **مدخل إلى القرآن الكريم** للدكتور محمد عبد الله دراز
١٨ - **مقدمة في أصول التفسير للشيخ الإمام ابن تيمية** تحقيق الدكتور عدنان زرزور.
١٩ - **أحكام الصيام وفلسفته في ضوء القرآن والسنّة** للدكتور مصطفى السباعي
٢٠ - **البرهان في تجويد القرآن ورسالة في فضائل القرآن (مقرر في معاهد الأزهر)** للشيخ محمد الصادق قمحاوي (ورق أبيض فاخر) (ورق ميفان ممتاز).
٢١ - **مقدمة في التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل سورة البقرة ، للإمام الشهيد حسن البنا**
٢٢ - **في رحاب القرآن (١)** للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري.
٢٣ - **في رحاب القرآن (٢) عروبة وإسلام** ، للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري.

طُبع على نفقة

المحسن الكبير

معالي السيد حسن عبّاس الشربتلي

وجعله وقفاً لله تعالى

فجزاهُ الله كُلّ خير

يُوزع مجّاناً ولا يُباع